السنة ٧٩ العدد التاسع والعاشر سبتمبر وأكتوبر ٢٠٢٥م توت وبابة ١٧٤٢ش

مجلة

مدارس الأحد

محتوى العدد

الافتتاحية: حدث فريد في تاريخ كنيستنا		١
إلى إيليا وأليشع: إلى أستاذ مختار فايق.. وإلى دكتور عادل شكري	أ. نادية منير	٤
دور المرأة في تاريخ الخلاص وحياة الكنيسة (١٥): (١٦) أبيجايل	د. جميل نجيب سليمان	٦
العذراء ومديحة الثلاثين	القمص بيشوي وديع	١١
النعمة والإرادة الحرة بين القديس أغسطينوس والقديس يوحنا كاسيان جـ ١	د. أمجد شوقي	١٨
خطوات في طريق النجاح والإبداع (١٨): خرج الزارع ليزرع بذاره	د. جرجس بشرى	٢٣
رفع البخور في الكنيسة معناه الإيماني وتاريخه الليتورجى	الراهب القس أثناسيوس المقاري	٢٦
أيهما أحلى: أن نتكلم عن الله أم عن الخطية؟	م. إيهاب عازر	٣٠
تأثير إيماننا بعقيدة الثالوث في حياتنا	**الشماس الإكليريكي بيشوي فخري**	٣٣
تاريخ الكنيسة ما قبل مجمع نيقية ٣٢٥م (٥)	د. سينوت دلوار شنودة	٣٧
اللاهوت ومدارس تفسيره	أ. نادية منير	٤٠
العلاقة التدبيرية بين أقنومي الآب والابن في سفر أعمال الرسل (٣)	الشماس الإكليريكي مينا ملاك	٤٥
المدارس التفسيرية المسيحية القديمة.. مقارنة منهجية وتداعيات لاهوتية (١)	الشماس الإكليريكي ميشيل عزت	٤٨
من البابا أثناسيوس إلى البابا تواضروس: الكنيسة القبطية تحفظ وديعة نيقية عبر العصور	الأستاذ جرجس منير حنا	٥١
المعلم بقطر ابن القمص تادرس...	الأستاذ إسحاق الباجوشي	٥٧
اللغة اليونانية (٧-٢): حروف الجر التي تليها حالة المضاف إليه	د. جرجس بشرى	٦٠
أنتم للمسيح	الأستاذ عياد توفيق	٦٣
كنيسة الأمير تادرس المشرقى بمصر القديمة	التعليق على صورة الغلاف	ب. غ

مجلة مدارس الأحد

يصدرها: بيت مدارس الأحد القبطى

إدارة المجلة : ٧٠ شارع روض الفرج – القاهرة تليفون : ٢٢٠٢٩٧٤٤

الاشتراك السنوى مائتان وخمسون جنيها

رئيس التحرير : د. سينوت دلوار شنودة

نائب رئيس التحرير: أ. نادية منير

أسرة التحرير: د. جميل نجيب، د. أمجد شوقي د. جرجس بشرى
أ. إسحاق الباجوشي

مدير المجلة: أ. صبرى غالى حنا – **مراجع لغوي:** أ. خلف عبد الملاك بشرى

ترسل جميع المكاتبات بعنوان المجلة، **الاشتراكات**
تُسدد **بالحساب الفضي** رقم ١٣٦٧٥٢ على مكتب بريد حدائق شبرا
باسم الأستاذ صبري غالي حنا

★ عند إرسال أية مبالغ بالحساب الفضي برجاء الاتصال بنا حتى يتم تسديدها بالحسابات

مجلة مدارس الأحد

السنة	سبتمبر وأكتوبر ٢٠٢٥م	العدد
التاسعة والسبعون	توت وبابة ١٧٤٢ ش	التاسع والعاشر

حدثٌ فريد في تاريخ كنيستنا

بمُناسبةِ مرورِ سبعةِ عشرَ قرنًا على اِنعقادِ مجمعِ نيقية المسكوني الأول يُقام في الفترة من ٢٤ إلى ٢٨ أكتوبر من هذا العام ٢٠٢٥م. حَدَثٌ فريدٌ في تاريخ كنيستنا بل وفي تاريخ الكنيسة الجامعة وتاريخ الحركة المسكونية، وهو المؤتمر العالمي السادس للجنة الإيمان والنظام Faith & Order في مجلس الكنائس العالمي WCC الذي سيُعقد تحت عنوان **"أين نحن الآن من الوحدة المرئيّة؟"** وذلك في مركز لوجوس بالمقر البابوي بدير الأنبا بيشوي في وادي النطرون، وهي المرة الأولى التي يُقام في ضيافة كنيسة أرثوذكسية شرقية، ويُعتَبَرُ المؤتمرَ السادسَ خلالَ مائةِ عامٍ، حيث عُقِدَ المؤتمر الأول عام ١٩٢٧م في لوزان بسويسرا، والثاني في عام ١٩٣٧م في إيدنبرج بإسكتلندا، والثالث عام ١٩٥٢م في لوند بالسويد، والرابع في عام ١٩٦٣م في مونتريال بكندا، والخامس في عام ١٩٩٣م في سانتياجو بإسبانيا.

بيانُ المجمعِ المقدس:

وقد أصدرَ المجمع المقدس للكنيسة القبطية الأرثوذكسية بيانًا بخصوص المؤتمر الدولي السادس لمجلس الكنائس العالمي بمناسبة مرور ١٧ قرنًا على اِنعقاد مجمع نيقية المسكوني الأول جاء فيه:

[يُرحب المجمع المقدس باستضافة كنيستنا القبطية الأرثوذكسية المؤتمر الدولي الخاص بالاحتفال العالمي بمرور ١٧ قرنًا من الزمان على إنعقاد مجمع نيقية المسكوني الأول عام ٣٢٥م. وذلك في إطار دورها ومسؤولياتها في الحركة المسكونية العالمية، وتكريمًا وتطويبًا لآبائنا القديسين وعلى رأسهم البابا ألكسندروس البطريرك الـ ١٩ والبابا أثناسيوس الرسولي البطريرك الـ ٢٠ وغيرهم من الأبطال الذين حافظوا على الإيمان المستقيم.

في هذا الصَدَد يَوَدُّ المجمعُ المقدس أنْ يؤكِّد أنَّ المؤتمرَ ليس حوارًا لاهوتيًا حول العقائد المسيحية، ولكنَّه فرصةٌ لتقديم أطروحاتٍ بحثيَّةٍ حول مجمع نيقية كنموذجٍ في مواجهة الهرطقات التي تواجه الإيمان المسيحي باعتبار أنَّ مجمع نيقية كان **"لحظةً تاريخيةً"** وقتَ أنْ كانت الكنيسة المسيحية في العالم واحدة.

هذا يُعني أنَّ المؤتمرَ أكاديميٌ دراسيٌ تُلقَى فيه الأوراقُ البحثية تعبيرًا عن أصحابها من الآباء والأساتذة والمختصين، وبالتالي فلن تصدُر عن المؤتمر أيَّةُ قراراتٍ أو اتفاقياتٍ أو توقيعاتٍ أو حتى توصيات، ولكنْ ربما تصدُر عنه بياناتٌ إعلاميةٌ فقط.

تمَّ تشكيل لجنة كنسية برئاسة نيافة الأنبا أبراهام الأسقف العام في إيبارشية لوس أنجلوس لتنظيم أعمال المؤتمر من استقبال وإقامة وضيافة وزيارات وتغطية إعلامية، دونَ الدخول في برنامج المؤتمر أو المحاضرات أو الكلمات لأنَّ هذا من اختصاص إدارة مجلس الكنائس العالمي].

لجنةُ الإيمان والنظام - نظرةٌ تاريخية:

بعد الحرب العالمية الأولى (١٩١٤–١٩١٨م) ظهرَ وَعيٌ متزايدٌ بين الكنائس المسيحية بالحاجة إلى التعاون المُشترك لمواجهة التحديات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية التي نَتَجَت عن الحرب، وقد بَرَزَت فكرةُ أنَّ الشهادةَ المسيحية لا يجب أنْ تقتصر على العقائد والإيمان فقط، بل تَمتَدُّ إلى الحياة العملية: السلام، العدالة الاجتماعية، مكافحة الفقر، والعمل من أجل حقوق الإنسان، هذه الرؤية قادَها بشكلٍ خاصٍ الأسقف النرويجي ناثان زودربلوم Nathan Söderblom، الذي كان له تأثيرٌ كبيرٌ في إطلاقِ حركةٍ جديدةٍ أطلَقَت على

نفسها حركة الحياة والعمل Life & work في عام ١٩٢٠م، عام ١٩٢٥ إنعقد المؤتمر الأول لـ **"الحياة والعمل"** في ستوكهولم – السويد، وقد جمعَ مُمَثلين من كنائس بروتستانتية وأرثوذكسية، بينما لم تُشارك الكنيسة الكاثوليكية، وقد ركَّزَ هذا المؤتمر على القضايا الاجتماعية والأخلاقية: مثل العدالة والسلام بين الشعوب، والعلاقات الاقتصادية، والزواج والأسرة، ومكافحة الفقر وعدم المساواة.

استمرَّت الحركة في تنظيم لقاءاتٍ ومؤتمراتٍ ركَّزَت على القضايا العملية أكثر من القضايا العقائدية، وبالتوازي ظهرت حركةٌ أخرى تُسمَّى الإيمان والنظام Faith and Order، واهتمَّت بالوحدة بين الكنائس، ومع مرور الوقت تلاقَت الحركتان، وبدأ الحديث عن تأسيس هيئة مسكونية جامعة تجمع بين الاهتمام بالوحدة المسيحية (الإيمان والنظام) والعمل المشترك في القضايا الاجتماعية (الحياة والعمل) وذلك في عام ١٩٣٧م.

وفي عام ١٩٣٨ انعقد مؤتمرٌ لقادةِ الكنائس في أوتريخت - هولندا لوضعِ دستورٍ مُشتَرَكٍ للعَمَلِ المسكوني، إلّا أنَّ الحربَ العالمية الثانية تدخَّلَت، ولَم يُعقَد هذا الاجتماع إلّا عام ١٩٤٨م حيث تأسَّسَ مجلسُ الكنائسِ العالمي في أمستردام بهولندا، وكان نتاجًا مُباشرًا لتلاقي هاتين الحركتين داخل المجلس، بينما استمرت روح حركة "الحياة والعمل" في شكلِ لجانِ العدالة والسلام، العمل الاجتماعي، التنمية، الحوار بين الأديان وغيرها.

إنَّ عَقدَ المؤتمرِ العالمي السادس للجنة الإيمان والنظام في مصر برعاية كنيستنا القبطية الأرثوذكسية هو دليلٌ على الدور الريادي الذي تلعبه الكنيسة القبطية الأرثوذكسية بقيادة قداسة البابا تواضروس الثاني لتعزيز العلاقات بين كنائس العالم من خلال المجالس الكنسية مثل مجلس الكنائس العالمي، ومجلس كنائس الشرق الأوسط، ومجلس كنائس مصر، كما يُعبِّرُ عن الجهود المُضنية التي يبذُلها قداسته لتعودَ الكنيسةُ عروسُ المسيح وجسدُه لوحدتِها ومحبتِها كما كانت قبل الانقسام في ٤٥١م.

الرب معكم،،

إلى إيليّا وإليشَع

إلى أ. مختار فايق (٢٠١٠/١٠/١)

وإلى د. عادل شُكري (٢٠٢٤/٩/١م)

الأستاذة/ نادية منير

دكتور عادل شكري

بابا مختار

عُذرًا.. لن أكتب عنكما في ذكراكما السنوية فى هذا العام، بل سوف أكتب إليكما طالبةً بل راجيةً منكما رفعَ هذه الصلوات من أجل مجلَّتَي مدارس الأحد للكبار والنشء، ومن أجل المحررين والعاملين فيهما، من أجل الكنيسة وخدامها وشعبها، من أجل مصر وشعبها، من أجل غزة وأهلها، من أجل السلام والطمأنينة في العالم كله والحكمة لجميع الرؤساء.. في اسم يسوع أطلب.

❖ أكتب إليكما أنْ تُصلّيا لكي يضعَ اللهُ ما كان في قلبَيكما من محبةٍ وغيرةٍ للمجلة في قلوب كل المحررين والعاملين فيها والقائمين عليها لتستمر المجلة في عملها لمجد اسم الله ونشر كلمته، بغضِّ النظر عن الأسماء ليظلَّ الهدفُ الأسمى هو خدمة رب المجد وخلاص كل نفس ومعرفة الآب والابن والروح القدس.

❖ أكتب إليكما أنْ تُصلّيا ليملأنا الله بيقين الإيمان الذي لا يتزعزع أمام طوفان الأفكار والتوجهات والشكوك لكي نواجهها كما واجهها إيليّا النبي قائلًا: **"حتى متى تعرجون بين الفرقتَين، إنْ كان الرب هو الله فاتبعوه، وإن كان البعل فاتبعوه"** (١مل١٨:٢١).

❖ أكتب إليكما أنْ تُصلّيا ليكون فينا الفكر الواحد والرؤية المُتِّسقة مع بعضها ومع روح الكتاب

لكى نعمل معًا كفريق واحد حتى نُتمِّمَ فرحَ الآب (في ٢:٢، ٣، ٤).

❖ أكتب إليكما أنْ تُصلّيا من أجل الكنيسة والمؤمنين فيها وكل الخدام، أنْ لا ينظر كل واحد إلى ما هو لنفسه، بل كل واحد إلى ما هو للآخرين أيضًا، كما عشتما طوال حياتكما بهذا الفكر وهذا التوجُّه في كل أمور وتفاصيل حياتكما الشخصية، مُرمِّمين مذبحَ الرب لا بحجارة بل بمحبة حيَّة حقيقية.

❖ أكتب إليكما أنْ تُصلّيا من أجل أنْ تكون الكنيسة جسدًا واحدًا رأسُهُ المسيح والمسيح فقط، بلا صراعٍ بين أعضاء هذا الجسد، بل يحيا هذا الجسد بالتخلّي حتى عن الحياة (كما فعلتما) ليكون المسيح هو الكل في الكل.

❖ أكتب إليكما أنْ تُصلّيا من أجل مصر لكي تستعيد قوتها من خلال ضمير صالح لكل شعبها، فيعمل كل مواطنيها من أجل رِفعتها حتى الموت، كما قدمتما حياتكما كلها بطول العمر لخدمتها وخدمة أبنائها حتى النَفَس الأخير بالعمل والصلاة كما صلّى إيليّا النبي فأمطرت السماء وأحيَت الأرض.

❖ أكتب إليكما أنْ تُصلّيا من أجل بيوت كل المؤمنين لكى تظهر فيها طول أناة ربنا يسوع المسيح مثالًا للمؤمنين به للحياة الأبدية، كما أظهرتما طول الأناة في احتمال آلام الآخرين وآلامكما الشخصية، وكما ربَّيتُما أبناءكما بالجسد وأبناءكما بالروح بالرُكَب الساجدة علِّما الآباء مثل هذه التربية.

❖ أكتب إليكما أنْ تُصلّيا من أجل أهل غزة لأنهم بشر مشمولين برعاية وعناية الله مُحبِّ كل البشر، وكما أنقذَ اللهُ السامرةَ من الأراميين - رغم فساد مَلِكُها آخاب - بصلاة إليشع النبي (١مل٢٠)، أنقذ يا رب كل الشعوب من الحروب بصلاة كل الأبرار والقديسين الأحياء منهم والأموات.

❖ أكتب إليكما أنْ تُصلّيا من أجل سلام العالم كله ووَقفِ الحروب وصَدِّ المؤامرات وصراع السلطات لفرض النفوذ، فقد خَلَت حياتكما كلها من أي صراع على سلطة أو نفوذ في أي مجال.

❖ أكتب إليكما أنْ تُصلّيا من أجلِ حكمةٍ سماوية (وليست حكمة أرضية بشرية) لكل الرؤساء والحُكّام، حكمة طاهرة مُسالمة مُتسامحة وديعة تفيضُ رحمةً وعملًا صالحًا لا مُحاباةً فيها ولا نفاقًا ولا حسدًا ولا نزاعًا ولا اضطرابًا (يع ٣:١٧).

في اسم المسيح أطلب.. اذكرونا جميعًا في صلواتكما أمام عرش النعمة.. آمين.

دور المرأة في تاريخ الخلاص وحياة الكنيسة (١٥)

(١٦) ابيجايل

دكتور/ جميل نجيب سليمان

هذا هو المقال الخامس عشر من هذه السلسلة من المقالات التي تعرض حياة النساء الذين ذكرهم الكتاب المقدس بعهديه وكان لهن دورهن في تاريخ الخلاص وحياة الكنيسة وخدمتها.

ومن نساء العهد القديم ذكرنا على التتابع: **حواء "أم كل حي"** (تك٣:٢٠)، وتلاها زوجات وأمهات الآباء الأوائل والأسباط والأنبياء:

سارة، ورفقة، وليئة، وراحيل، ويوكابد (أم موسى)، وصفورة (زوجته)، وراحاب، ودبورة، و ابنة يفتاح، وامرأة منوح، وراعوث، وحَنة (أم صموئيل النبي).

وكان آخر المقالات في العدد الماضي من هذه المجلة (يوليو وأغسطس ٢٠٢٥) عن **الملكة إستير** التي عاشت زمن السبي.

على أن فترة حكم ملوك إسرائيل قبل السبي لم تخلُ من نماذج عظيمة وإن كانت لنساء عاديات مجَّدن الرب بسلوكهن وحياتهن المقدسة وخدمتهن لرجال الله وأنبيائه...

وقد اخترنا من هؤلاء ثلاثة وهن **أبيجايل** امرأة نابال (١صم ٢٥)، **وأرملة صرفة صيدا** (١مل ١٧)، **والمرأة الشونمية** (٢مل٤). ونتناول في هذا المقال حياة أبيجايل.

* * * * * *

■ ما وراء الأحداث:

ولكن نحيط بأبعاد ما ذكره الكتاب المقدس عن حياة **أبيجايل** وسجله في الأصحاح الخامس والعشرين من سفر صموئيل الأول، لابد أن نشير إلى الظروف المُحيطة وهي أساسًا العلاقة المتوترة بين الملك شاول الذي رفضه الله، والملك داود الذي اختاره الله، وأمر صموئيل النبي أن يمسحه ملكًا قبل أن يختم صموئيل خدمته نبيًا وقاضيًا لإسرائيل.

■ بين شاول وداود:

كان لقاء الملك **شاول** لأول مرة **بداود** خلال الحرب بين جيش إسرائيل والفلسطينيين العماليق بقيادة جليات الجبار. ورغم أن **شاول** كان مهيبًا طويل القامة إلا أنه كان خاويًا في باطنه وقد تهاوت علاقته مع الله، وخلال الحرب كان مرتعشًا خائفًا، وكذلك كان جنوده أمام جليات الذي كان يتقدم الصفوف ويطلب من ينازله، فلم يتقدم أحد إلا هذا الشاب **داود**، والذي لم يكن جنديًا محاربًا وإنما كان راعيًا لغنم أبيه، ولما رأى جليات يُعيِّر جيش إسرائيل غار غيرة الرب واحتدت روحه فيه، وتقدم لا بسيف ورمح وترس وإنما بقوة رب الجنود ومعه فقط مقلاعه الذي أطلق منه حجرًا أرتزَّ في جبهة جليات فسقط على الفور صريعًا وركض داود نحوه وانتزع سيفه وقطع به رأسه. صار داود بطلاً. ولكن قلب شاول اشتعل بالغيرة وملأه القلق إيذاء هذا الشاب راعي الغنم الذي انتصر لشعب إسرائيل وتحولت نحوه مشاعر الشعب.

منذ تلك اللحظة بدأت العلاقة المتوترة بين شاول وداود وظلت تتأرجح بين العداء السافر ومحاولات الاحتواء والإغراء.

من جانبه كان داود نبيلاً فلم يتعالى أو ينتفخ ولكنه ظل يرى في الملك شاول "مسيح الرب" الذي لا يجرؤ أن يمسه مهما أُتيحت له الفرصة. مما جعل شاول يتراجع أحيانًا عن عدائه، حتى أنه عرض على داود الزواج من ابنته الكبرى، ولكن داود رأى نفسه أقل من أن يقترن بابنة الملك.. على أنه فيما بعد قبل الزواج من ابنة شاول الصغرى "**ميكال**" ولكن مع هذا لم تتوقف محاولات شاول للتخلُّص من داود... وكان من المفارقات أن **يوناثان** ابن شاول كان يحب داود كنفسه، كما أن ميكال أخذت جانب داود وكانت تكشف له مؤامرات أبيها ضده.

في هذه الظروف من الصراع بين الملكين جاءت قصة بطلتنا العظيمة **أبيجايل**.

■ أبيجايل و نابال:

كانت **أبيجايل**[1] زوجة لرجل غنى اسمه **نابال**، وبسبب ثروته الكبيرة قيل إنه كان "**عظيمًا جدًا**" (١صم٢٥:١)، وكان **نابال** يعيش في بلدة "**معن**" وأملاكه كانت في **الكرمل**، وعنده آلاف الغنم والمعز، وكان بجز غنمه في الكرمل.

على الجانب الشخصي كان الزوجان على طرفي نقيض. فبينما كتب عن **أبيجايل** أنها كانت "**جيدة**

---

[1] معنى الاسم: ابي فَرِحَ

الفهم وجميلة الصورة" (١صم٢٥:٣).

كان **نابال** متعاليًا بثروته - قاسيًا "**رديء الأعمال**"، كما وصفه أحد غلمانه أنه"**ابن لئيم لا يمكن الكلام معه"** (١صم٢٥:١٧).

■ داود و نابال:

لما سمع داود وهو في البرية مع رجاله أن **نابال** يجز غنمه في الكرمل، أرسل عشرة من غلمانه إلى **نابال** كي يسألوا باسمه عن سلامته وبيته وكل ماله، وأن يذكّروه كيف أن داود ورجاله عاملوا رعاة **نابال** حسناً لما كانوا عنده من قبل، وطلب أن يقدم **نابال** معونة لعبيده "**ولابنك داود**".

ومع هذا اللطف والاتضاع من جانب **داود** الملك، كان رد **نابال** متعاليًا جافًا قاسيًا وقال: "**مَنْ هو داود ومَنْ هو ابن يسى... أأخذ خبزي ومالي وذبيحي الذي ذبحت لجازي وأعطيته لقوم لا أعلم من أين هم؟**" (١صم٢٥:١٠).

فلما عاد الغلمان وأخبروا داود بهذا الكلام امتلأ غضبًا وأظهر وجهاً مختلفًا وأمسك سيفه وقال لرجاله" **ليتقلَّد كل منكم سيفه**". وصعد داود ومعه أربعمائة رجل لمجابهة **نابال** وردعه.

من ناحية أخرى ذهب أحد الغلمان وأبلغ سيدته **أبيجايل** بما جرى وكيف ثار **نابال** على مَنْ أرسلهم داود رغم حسن معاملتهم "**لرجالنا عندما كنا نرعى معهم**"، وألحَّ الغلام على **أبيجايل** أن تفعل شيئًا لأن الشر قد أُعدّ على **نابال**.

* * * * * * *

هنا يأتي دور **أبيجايل** التي جعلها الله بحُسن فهمها لتكون زوجة لهذا الرجل المتعجرف عديم الحكمة المعتد بماله فخسر المعركة لافتقاده حُسن التصرف أمام اتضاع **داود**..

■ أبيجايل وداود:

يقول الكتاب" **فبادرت أبيجايل**[٢] " (١صم٢٥:١٨).

أي أنها لم تتردد أو تفكر طويلاً ولكنها أخذت زمام الأمور وطفقت ترتب خطتها لإصلاح وترميم ما دمره زوجها الأحمق المتهور، ودون أن تخبره أو تناقشه.

فأعدت **أبيجايل** هدية عظيمة كمقدمة لتطييب قلب داود وتهدئة ثائرته: "**مئتي رغيف خبز وزقّيّ**

---

[٢] المبادرة - المغامرة - التي اتخذتها **أبيجايل** بأن تذهب للقاء الملك داود لإنقاذ الموقف المتردي وكيف اقتربت إليه ساجدة وتكلمت معه بانسحاق حتى لأن قلبه وهدأت نفسه ومجد الله الذي أنقذه - بتدخل **أبيجايل** - من فعل الشر، كشفت لنا عن صفاتها الفريدة. التي جمعها الكتاب في إنها "**جيدة الفهم**" فقد كانت متضعة، حكمة عاقله، تحسن التصرف والكلام، قوية الشخصية، شجاعة في مواجهة الظروف الصعبة. والمثل هنا يقول: "**حكمة المرأة تبني بيتها والحماقة تهدمه**"(ام١٤:١).

خمر وخمسة خرفان مهيأة، وخمس كيلات من الفريك، ومئة عنقود من الزبيب ومئتي قرص من التين" ووضعتها على الحمير وقالت لغلمانها أن يعبروا قدامها وهي تتبعهم راكبة على حمار.

وبينما هي تنحدر على الجبل إذا بداود ورجاله في استقبالها لا بالورود وإنما بالكلام القاسي والتهديد. فيقول داود: يبدو أنني أخطأت عندما أحسنت معاملة رعاتكم في البرية وحفظنا على كل ما لهم فلم يفقد منه شيء، ولكني إذ كوفئت شرًا بدل الخير فهكذا يصنع الله لأعداء داود وقبل أن يأتي الصباح لن يبقى لكم شيء".

فلما رأت أبيجايل داود وسمعت كلماته حتى أسرعت ونزلت عن الحمار وسقطت أمام داود على وجهها وسجدت إلى الأرض على رجليه.

وقالت: **عليّ أنا يا سيدي هذا الذنب، ودع أمتك تتكلم في أذنيك واسمع كلام أمتك. لا يضعن سيدي قلبه على الرجل اللئيم هذا (تقصد نابال) لأن كاسمه هكذا هو: نابال اسمه والحماقة عنده، و أنا أمتك لم أرَ غلمان سيدي الذين أرسلتهم. والآن يا سيدي حي هو الرب وحية هي نفسك أن الرب قد منعك عن إتيان الدماء و انتقام يدك لنفسك والآن فليكن كنابال أعداؤك والذين يطلبون الشر لسيدي، والآن هذه البركة (الهدية) التي أتت بها جاريتك إلى سيدي فلتعط للغلمان السائرين وراء سيدي. وأصفح عن ذنب أمتك لأن الرب يصنع لسيدي بيتًا أمينًا لأن سيدي يحارب حروب الرب ولم يوجد فيك شر كل أيامك. وقد قام رجل ليطاردك (تقصد شاول) ويطلب نفسك.**

ولكن نفس سيدي لتكن محزومة في حزمة الحياة مع الرب إلهك. وأما أنفس أعدائك فليرم بها كما من وسط كفة المقلاع، ويكون عندما يضع الرب لسيدي حسب كل ما تكلم به من الخير من أجلك، ويقيمك رئيسًا على إسرائيل. أَنَّهُ لاَ تَكُونُ لَكَ هذِهِ مَصْدَمَةً وَمَعْثَرَةَ قَلْبٍ لِسَيِّدِي، أَنَّكَ قَدْ سَفَكْتَ دَمًا عَفْوًا، أَوْ أَنَّ سَيِّدِي قَدِ انْتَقَمَ لِنَفْسِهِ. وَإِذَا أَحْسَنَ الرَّبُّ إِلَى سَيِّدِي فَاذْكُرْ أَمَتَكَ»[٣] **(١صم ٢٥: ٢٤- ٣١)**

---

(٣) تعلمنا أبيجايل أن من يتصدى لنفس الخلاف والمصالحة بين المتخاصمين سواء كانوا زوجين أو صديقين أو غريمين أن ينصف بالاتضاع والحكمة والقدرة على احتمال قسوة الكلام أو المواقف المتشددة والعناد. فمهما كانت شدة الخلاف فإن اتضاع الوسيط وإحتماله كفيل بأن يحنن القلوب ويزيل الحفاء.

وفي هذا الصدد يُذكر عن أبينا القمص ميخائيل إبراهيم أنه انحنى إلى الأرض وقبَّل حذاء أحد المتخاصمين الذي أصبح مستعدًا للصلح على الفور.

كما يذكر أبونا القمص لوقا سيداروس أنه ذهب يومًا إلى بيت زوج يعين وحيدًا بعد خلافه مع زوجته التي تعيش في بيت أبيها منذ ثمانية عشر عامًا.. وقبل أن يأتي الطعام قال أبونا للرجل متوسلاً: كفاية.. كفاية شر - وخصومة.. طيب .. علشان خاطر يسوع. فصاح الرجل، يا سلام - ليه تقول كده - خاطره على رأسي- وفي لحظة واحدة وبدون جهد أتمحي كل الشر الذي تراكم خلال السنين.

■ داود يتراجع عن انتقامه:

اخترقت كلمات أبيجايل الحكيمة قلب داود وتأثر بانسحاقها وتوسلاتها وإدانتها لحماقة زوجها وحملها لأخطائه ودعائها لداود بالنصرة على غريمه الذي يطارده ليكون رئيسًا (ملكًا)على إسرائيل. فهدأت نفسه فيه[٤]، فقال **لأبيجايل** ممتنًة **«مُبَارَكٌ الرَّبُّ إِلهُ إِسْرَائِيلَ الَّذِي أَرْسَلَكِ هذَا الْيَوْمَ لاسْتِقْبَالِي، وَمُبَارَكٌ عَقْلُكِ، وَمُبَارَكَةٌ أَنْتِ، لأَنَّكِ مَنَعْتِنِي الْيَوْمَ مِنْ إِتْيَانِ الدِّمَاءِ وَ انْتِقَامِ يَدِي لِنَفْسِي. وَلكِنْ حَيٌّ هُوَ الرَّبُّ إِلهُ إِسْرَائِيلَ الَّذِي مَنَعَنِي عَنْ أَذِيَّتِكِ، إِنَّكِ لَوْ لَمْ تُبَادِرِي وَتَأْتِي لاسْتِقْبَالِي، لَمَا أُبْقِيَ لِنَابَالَ إِلَى ضَوْءِ الصَّبَاحِ بَائِلٌ بِحَائِطٍ»**. (١صم٢٥: ٣١- ٣٤).

ثم أخذ داود من يد أبيجايل ما أتت به إليه من هدايا، **وَقَالَ لَهَا: «اصْعَدِي بِسَلاَمٍ إِلَى بَيْتِكِ. أُنْظُرِي. قَدْ سَمِعْتُ لِصَوْتِكِ وَرَفَعْتُ وَجْهَكِ»**.

■ نهاية نابال:

عندما عادت **أبيجايل** إلى بيتها، كان **نابال** في عالم آخر يقيم وليمة ملكية، وكان مثقلاً تمامًا بالخمر وطاب قلبه، فلم تشأ **أبيجايل** أن تخبره بشيء حتى الصباح وقد استفاق، فلما أخبرته بما جرى مات قلبه داخله وصار كحجر، وبعد نحو عشرة أيام ضرب الرب **نابال** فمات.

■ داود يتزوج أبيجايل:

لما سمع داود بموت **نابال**، قال: **«مُبَارَكٌ الرَّبُّ الَّذِي انْتَقَمَ نَقْمَةَ تَعْيِيرِي مِنْ يَدِ نَابَالَ، وَأَمْسَكَ عَبْدَهُ عَنِ الشَّرِّ، وَرَدَّ الرَّبُّ شَرَّ نَابَالَ عَلَى رَأْسِهِ»**. (١صم٢٥: ٣٩).

ثم أرسل **داود** وتكلم مع **أبيجايل** ليتخذها له امرأة، فجاء عبيد داود إلى **أبيجايل** إلى الكرمل وكلموها قائلين: **«إِنَّ دَاوُدَ قَدْ أَرْسَلَنَا إِلَيْكِ لِكَيْ يَتَّخِذَكِ لَهُ امْرَأَةً». فَقَامَتْ أبيجايل وَسَجَدَتْ عَلَى وَجْهِهَا إِلَى الأَرْضِ -كأنها تخاطب داود أمامها،: «هُوَذَا أَمَتُكَ جَارِيَةٌ لِغَسْلِ أَرْجُلِ عَبِيدِ سَيِّدِي»**.

ثم بادرت وقامت وركبت الحمار مع خمس فتيات لها ذاهبات وراءها وسارت وراء رُسل داود وصارت له امرأة [٥] (١صم ٢٥: ٤٠ - ٤٢)، متخليًا عن **ميكال** ابنة شاول والتي كانت مُحبة والتي زوجها أبوها من شخص اختاره لها.

---

(٤) نعم. وكيف لا تهدأ نفسه فيه بعد هذا الكلام الخارج من قلب يعرف الله.. وهنا يقول المثل: الجواب اللين يصرف الغضب والكلام الموجع يهيج السخط (أم ١٥:١). (قارن مع سلوك نابال الأحمق)

(٥) حياة أبيجايل التي عرضها الكتاب ينطبق عليها المثلان: "**امرأة فاضلة من يجدها. لأن ثمنها يفوق اللآلئ**" (أم٣١:١٠) "**المرأة الفاضلة تاجٌ لبعلها أما المخزية فنخرٌ في عظامه**" (أم١٢:٤)

العذراء ومديحة الثلاثين

القمص بيشوي وديع

+ هناك مديح رائع لتمجيد السيدة العذراء مُرتَّب على الحروف الأبجدية، فيه نُهدي السلام لمريم العذراء مخاطبين إيّاها من خلال ثلاثين صفة وفضيلة تتحلَّى بها العذراء وتشتمل عليها. وقد استهوتني هذه الصفات الثلاثون، إذ بالتأمُّل فيها وجدتُها تنقسم - تقريبًا - إلى ثلاث مجموعات:

أ - صفات تختصُّ بعلاقة العذراء و انتسابها لله.

ب - صفات تختصُّ بكيانها وفضائلها.

ج - صفات تختصُّ بدالَّتِها وشفاعتها عن جنس البشر.

أي أننا في مديحة الثلاثين نلتقي بالله، والعذراء، والإنسان.

لذلك نضع أمام القارئ أولًا نَصَّ المديحة ليستلهم معنا كل المعاني والتأملات المنبثقة من كلماتها:

السلام لك يا مريم:

يا أم الله القدوس … يا بكر بتول وعروس
يا تابوت عهد النعمة … يا ثمرة لذيذة طعمة
يا جنّة وفردوس … حملتِ غير المحسوس
يا خليلة سليمان … يا دواء يبرئ التعبان
يا ذات البتولية … يا رجاء المسيحية
يا زرع طاهر مبرور … يا سالمة من الشرور
يا شفيعة في المؤمنين … يا صلاحًا للتائبين
يا ضياء في البرية … يا طاهرة ونقية
يا ظاهرة بأجلى بيان … يا عروسة للديّان
يا غالية وثمينة … يا فاضلة وأمينة
يا قوية في الحروب … يا كَنز الله المرهوب
يا لَوح العهد الجديد … يا معونة لمن يُريد
يا نَسل طاهر مغبوط … يا هَيكل نقى مضبوط

يـــــا والـــــدة الإلـــــه	يـــا لائقـــة لـــه فـــي عـــلاه
يـــا يـــاقوت غـــالى الأثمـــان	يـــا وردة فـــي البســـتان
تفســـير اســـمك فـــي أفـــواه	كـــــــل المـــــــؤمنين
الكـل يقولـون يـا الله العـذراء	مـــــريم أعنّـــــا أجمعـــين

أ- علاقة العذراء باللّه وانتسابها إليه:

في دراستنا لهذا العنوان لَيتَنا نتفهَّم العلاقة الصحيحة بين الله والعذراء القديسة مريم، ثم - كجانب تطبيقي - لنُحاسِب أنفسنا هل نحن أيضًا نعيش في هذا المفهوم ونرتبط بالرب الإله ولو بمقدار نسبيٍّ بالقياس لشخصية أُمِّ النور والدة الإله؟

١- لنحمل كلمة اللّه ونُخبِّئُها في قلوبنا ونعيش بها:

فالعذراء مريم تَصِفُها المديحة بأنها «**تابوت عهد النعمة – لَوح العهدِ الجديد**». فقديمًا أوصى الرب موسى بضرورة وجود تابوت العهد الذي يحمل لَوحَي الشريعة وقِسطَ المَنِّ في وَسَطِ الشعب، وكانوا يحملونه بإعزاز عظيم في كلِّ انتقالاتهم وارتحالهم. فهل نحن حريصون على حَملِ كلمة الله في أحشائنا - روحيًا وتطبيقيًا - مثلما حَمَلَت العذراءُ مريم الله الكلمة في أحشائها الطاهرة؟

٢- انتسابنا الحقيقي للّه:

قالَ الربُّ يسوع: "**مَن يصنع مشيئة أبي الذي في السماوات هو أخي وأختي وأمي**" (مت١٢:٥٠) هنا ولا بُدَّ أنْ نؤكِّد الصِّلَة الجوهرية والانتساب الحقيقي بين الرب والعذراء. فهي ليست مُجَرَّد قديسة تتعبَّد للإله بل هي أعظم من هذا بكثير، وشرفُها كأُمٍّ يفوق كل الأمهات لأنها «**أم الله القدوس - والدة الإله**» ولهذا فنحن - في العقيدة والطقس الأرثوذكسي - نؤكِّد على لقب «**الثيئوطوكُس**» أي «**والدة الإله**». والصورة الطقسية الأرثوذكسية للعذراء مريم هي صورة الأم الملكة التي قامت عن يمين الملك. وفي هذا تأكيدٌ أنَّ كل عقائدنا الإيمانية وتُراثَنا الفكري الهائل عن شخصية العذراء مرتبطٌ أشَدَّ الارتباط بكَونها والدة الإله تحملُ ابنها على ذراعَيها من بَعد ما حَمَلَتْه في بطنها لاهوتًا متحدًا بالناسوت.

بَشَريٌّ كاملٌ حَمَلَتْه يداكِ.. طوباكِ يا زين البشرية.

فلنحمل المسيح في داخلنا بعمل الروح القدس السرائري. (حملتِ غير المحسوس - كنز الله المرهوب) ولنتذكَّر اختبار بولس الرسول عندما قال عن نفسه: **"لأني حاملٌ في جسدي سِمات الرب يسوع"** (غل ٦:١٧).

خُلاصة الأمر: إنْ كانت العذراء قد حَمَلَت الربَّ الإله حملًا لاهوتيًا ناسوتيًا جوهريًا كاملًا فنحن مدعوون أنْ نحمله كحياة بنوَّة والتصاق وحُب واتحاد بعمل روحه القدوس فينا عملًا سرائريًا باطنيًا في الداخل.

لنسلك بلياقة كما يُرضيه:

تقول المديحة في وصف العذراء **(يا عروسة للديان – يا لائقة له في علاه).** إنَّ العروسَ النقية الكاملة هي التي تكون دائمًا في صورة متلألئة بهية وجميلة أمام عريسها، كملكة عن يمين الملك في لياقةٍ وطُهرٍ وتكامل، ومفروض أنَّ الإنسان فينا هو عذراء مخطوبة عفيفة لرجل واحد هو المسيح (٢كو ١١:٢). فهل نحن في حالة لائقة باستمرار لهذا العُرس والزفاف؟ إنْ أردنا ذلك واشتقنا إليه فلنستجب لنداء معلمنا بولس الرسول إذ يقول: "لنسلُك بلياقة كما في النهار" (رو ١٣:١٢)، **"فانظروا كيف تسلكون بالتدقيق لا كجهلاء بل كحكماء، مفتدين الوقت لأنَّ الأيام شريرة"** (أف٥: ١٥، ١٦).

ب - صفات تختصُّ بكيانها وفضائلها:

١- تقديس إناء الحياة كهيكل للّه:

تصف المديحة أُمَّنا العذراء مريم بأنها **(هيكلٌ نقيٌّ مضبوطٌ - طاهرة ونقية - سالمة من الشرور)**، وكنيستنا الأرثوذكسية المحبوبة تُقدِّم لنا تُراثًا هائلًا في وصف العذراء باعتبارها قُدسَ الأقداس الذي حَلَّ فيه ربُّ القوات وذلك من خلال الثيئوطوكيّات السبع التي تُشكِّل صُلبَ التسبحة الكنسية وجوهرها اليومي. وإذا دقَّقنا بالأخَصِّ في ثيئوطوكية الأحَد وهي من أعظم السيمفونيّات اللاهوتية والروحية في وصف العذراء والتَغَنّى بها - لوجدنا شرحًا متكاملًا لهذا المعنى. انظر ما نقوله في مُقدمة «ثيئوطوكية الأحد»: **[مدعوَّة صِدّيقة أيتها المباركة في النساء، القبة الثانية التي تدعى قدس الأقداس]**، ثم نعطيها التطويب في نهاية كل فقرة في التسبحة ونخاطبها قائلين:

[من أجل هذا نُعظِّمُكِ باستحقاق

بتماجيد نبويَّة.

تكلَّموا من أجلكِ بأعمالٍ كريمة

يا مدينة مقدسة للملك العظيم.

نسأل ونطلب أنْ نفوز برحمة

بشفاعتك عند محب البشر]

وكتطبيقٍ لهذه المعاني على أنفسنا وكياننا فلنتذكر كيف أنَّ الإنسان فينا - بعمل الروح القدس وتدشينه لنا بالميرون والأسرار - قد صارَ هيكلًا لله ومسكنًا للروح القدس كما يقول القديس بولس الرسول: «**أم لستم تعلمون أن جسدكم هو هيكل للروح القدس. فمجدوا الله في أجسادكم وفى أرواحكم التي هي لله**» (١ كو ٦: ١٩، ٢٠)، «**فإنكم أنتم هيكل الله الحي**» (٢ كو ٦: ١٦).

وأظنُّ أنَّ كلَّ مَن يتذكَّر قُدسيَّة الهيكل في الكنيسة الأم بمعناه الشامل المهوب سيتذكَّر بالتبعية قُدسيَّة هيكل نفسه وجسده ليحفظه «**نقيًّا مضبوطًا - طاهرًا وسالمًا من الشرور**» بالمعنى الذي نستشفُّه من كلمات المديحة.

٢- غلاوة النفس وقيمتها عند الله:

عودة إلى كلمات المديحة في وصف العذراء، فتصفها بأنها **(ياقوتٌ غالي الأثمان - غالية وثمينة)**. إذا كانت العذراء بالحقيقة غالية وثمينة لأنها حَمَلَت ابنَ الله الكلمة في أحشائها فصارَت هي نفسُها كنزَ الله المرهوب.. فاقتباسًا من هذا المعنى نقول إنَّ كلَّ إنسانٍ يحفظُ نفسه طاهرًا ومقدسًا لله هو إنسان غالٍ لا يُقدَّر بفضةٍ أو ذهبٍ "**عالمين أنكم افتُديتُم لا بأشياءَ تفنى بفضةٍ أو ذهبٍ من سيرتكم الباطلة التى تقلَّدتموها من الآباء. بل بدمٍ كريمٍ كما من حَمَلٍ بلا عَيب ولا دَنَسٍ دم المسيح**" (١ بط ١: ١٨، ١٩).

هوذا مديحة الثلاثين تُذكِّرُكَ بغلاوةِ العذراء الثمينة، فهل تتذكَّر بالتالي غلاوتك أنتَ أمامَ الرب والثمن الذي دُفِعَ في شرائك وتطهيرك فتحفظ نفسك بلا عثرة؟ نرجو لك هذا.

٣- لنكن أبناء نور ونعيش في النور:

الإنسان المُلتحف بالرب نور العالم الحقيقي له ضياء وبيان ووضوح وظهور! تقول المديحة في

وصف العذراء: **(يا ضياء في البرية - يا ظاهرة بأجلى بيان)**، ولعلَّ هذه الكلمات تُذكِّرُنا بلَقَبِ العذراء الأصيل والمعروف الذي نخاطبها به باستمرار: «**أم النور**»، ونتذكَّر معه ظهوراتها المنيرة المتعاقبة في زماننا المعاصر سواء في كنيستها بالزيتون (أبريل سنة ١٩٦٨م) أو في كنيسة الشهيدة دميانة ببابا دُبلو (مارس سنة ١٩٨٦م)، وفي الحقيقة إنَّ سِرَّ تجلي العذراء مريم بنورها البهي وضيائها الساطع - سواء بالمعنى الداخلي أو بالظهورات المرئية للعيون - راجع إلى كَونها الأمُّ المنيرة التي حَمَلَت نورَ العالم. لذلك نخاطبها قائلين: «**أنتِ هي أم النور المكرمة، من مشارق الشمس إلى مغاربها يقدمون لكِ تمجيداتٍ يا والدة الإله السماء الثانية، لأنكِ أنتِ هي الزهرةُ النيّرة غير المتغيرة، والأمُّ الباقية عذراء**» (قِطَع صلاة باكر).

نعم إنها حقائق جوهرية نورانية تختصُّ بكِ يا أم النور، واستحققتِ من أجلها أنْ ينعقد مجمع أفسس بحضور مائتَي أسقفٍ برئاسة العملاق البابا كيرلس الأول عمود الدين ليُقرِّروا هتافًا راسخًا يُسلِّمونه للأجيال كمُقدمة لقانون الإيمان "**نعظمكِ يا أم النور الحقيقي.. ونمجدكِ أيتها العذراء القديسة والدة الإله ...**".

يبقى أمرٌ هامٌ في موضوع نورانية العذراء هو علاقتنا نحن بهذا النور والضياء. يقول معلمنا بولس الرسول: "**جميعكم أبناء نور و أبناء نهار. لسنا من ليل ولا من ظلمة**" (١تس٥:٥)، وبإزاء ذلك قد "**تناهى اللَيل وتقارَب النهار، فلنخلع أعمال الظلمة ونلبَس أسلحة النور**" (رو١٣:١٢).

٤-جمال الداخل وزينة الروح الوديع الهادئ:

في محاولة مُتَّضعة - وبقدر ما تسعفنا محدودية اللغة وعجز الكلمات - تصفُ المديحة جمالَ العذراء فتقول: **(يا جنة وفردوس – يا وردة في البستان)**.

ونعود الآن فنؤكِّد أنَّ جمالَ الإنسان الروحي ومحافظته على البهاء الإلهي والحُسن المُفاض عليه من الله الأبرع جمالًا من بنى البشر، هو شرطُ تزكيته ليرثَ الملكوت السماوي ويتمتَّع بجمال الفردوس وكورة السمائيين الأحياء إلى الأبد. ولا ننسى أنَّ الإنسان الروحي هو نفسه فردوس وبستان، إذا تمشَّى في داخله أيُّ أحدٍ سيقطف منه وردًا وأزهارًا هي فضائل النعمة الساكنة فيه وثمر الروح العامل فيه.

٥- الفضائل والدرجات الروحية:

ولعلَّ أبرزُها جميعًا في شخصية العذراء بتوليتها الطاهرة وأحشاؤها البكر. هذه التي ولدت ابن الله

الكلمة الذاتي **"الكائن في حضنه الأبوي كل حين، أتى وحلّ في الحشا البتولي غير الدنس، ولدته وهي عذراء وبتوليتها مختومة"** (قسمة صوم الميلاد).

ومديحة الثلاثين لا يفوتها أنْ تقف أمام هذا السمو البتولي للعذراء مريم. ملكة البتوليين بلا منازع، بل ملكة السمائيين والأرضيين فتخاطبها وتقول: **(السلام لك يا مريم يا ذات البتولية.. السلام لك يا مريم يا بكر بتول وعروس).** أمّا عن علاقتنا نحن في الحياة الروحية بدرجة البتولية فنقول في إشارة موجزة وسريعة إنها درجة روحية خاصَّة للمُحبين الحقيقيين للعريس السماوي. إنها ليست لكل أحد ولكن للمدعوين من الله حسب اشتياق النفس واستعدادها وأمانتها لله. ونحيل القارئ لكلمات بولس الرسول عن الزواج والبتولية (في ١ كورنثوس ٧).

جـ- صفات تختص بشفاعتها عن جنس البشر:

في هذا المجال لستُ بصدَد أنْ أُثبت عقيدتنا في شفاعة العذراء عنا كتابيًا بشواهد، أو جدليًا بنقاش أو كلام، فما أكثر الكتب التي كُتبَت في إثبات الشفاعة على هذا النحو بالشواهد والآيات.

لكنى أستشعر تيار الحب والأمان الذي يسرى في كياننا كأبناء للعذراء، فيُشعرنا بصلاتها الحانية وحبها الدافئ الذي يرفعنا أمام العرش ويحمل طلباتنا وأعوازنا للرب الإله. ولنبدأ رحلتنا بما تقوله المديحة المذكورة.

١- وسيلة بركة وراحة للمتعبين:

+ **(السلام لكِ يا مريم يا دواء يبرئ التعبان.. السلام لك يا مريم يا معونة لمن يريد).** أحلى ما في شفاعة العذراء وهي تصلى من أجلنا أمام العرش أنها تطلب من الرب أنْ يغفر لنا خطايانا. وهذه هي أكبر راحة وأعظم دواء. نخاطبها في قِطَعِ الساعة السادسة ونقول: «**لأنَّ كثيرة هي شفاعتكِ قوية ومقبولة عند مخلصنا. أيتها الأم الطاهرة لا ترفضي الخطاة من شفاعتكِ عند الذي ولدتِه لأنه رحيم وقادر على خلاصنا**». لذلك فالإنسان التائب هو أول مَن يجد لذَّة في التشفُّع بالعذراء لأنها تطلب للخطاه التائبين غفرانًا وصلاحًا.

+ **(السلام لكِ يا مريم يا شفيعة في المؤمنين.. السلام لكِ يا مريم يا صلاحًا للتائبين)**، والكنيسة

تؤكد هذا المعنى عقيديًا وطقسيًا في مَرَد الشعب المعروف في ليتورجية القداس الإلهي حينما يصلي الشعب كله بهتافٍ واحدٍ قائلين: **"بشفاعات والدة الإله القديسة مريم يا رب أنعم لنا بمغفرة خطايانا"**. ولعلَّ هذه العبارة الرصينة تكشف سلامة إيماننا الأرثوذكسي ودِقَّة التعبير اللاهوتي في الصلوات الكنسية. فنحن لا نطلب من العذراء أنْ تغفر هي خطايانا لأنها لا تملك هذا، بل من الرب الذي دمه يطهر من كل خطية، وبدون سفك دمه لا تحصل مغفرة. هنا يكون الغفران نعمة من الرب، والتوسل والتضرع هو من خلال التشفع بوالدته المكرمة أمامه كل حين ولذلك فشفاعتها قوية ومقبولة عنده كمخلص.

٢- رجاء وتعضيد ومساندة:

+ ليست العذراء بمعزل عن الجهاد الروحي لكل نفس مؤمنة.

وليست العذراء بعيدة عن ميدان صراعنا الروحي ضد الشر والخطية. ومن المعروف في التاريخ الكنسي والتقليد إنها ظلت - بعد صعود الرب إلى السماء - تسند التلاميذ وتشجع الرسل وتُطلق الطاقات وتؤازر عمل الكرازة والشهادة بقيامة الرب يسوع. لذلك ليس غريبًا أنْ تؤكد المديحة هذه المعاني فنقول: **(السلام لكِ يا مريم يا رجاء المسيحية.. يا قوية في الحروب)**. ولا تزال العذراء تُعضِّد الكنيسة وتؤازر مؤمنيها وتُزكّي فيهم روح الرجاء، وتشجعنا في مسيرة جهادنا الروحي حتى تتحقق لنا النُصرة من خلال ابنها الرب يسوع الذي يقودنا في موكب نصرته (٢كو ١٤:٢).

هذه هي العذراء القديسة مريم ابنة يواقيم وحنَّة اللذَين أثمرا ثمرًا طاهرًا ونقيًا **(السلام لكِ يا مريم يا زرع طاهر مبرور.. يا نَسل طاهر مغبوط)**. لسنا محتاجين بعد هذا كله أنْ يُحببنا فيكِ أحد، فمنذ القديم كنتِ **"خليلة سليمان"** وها أنتِ **"ثمرة لذيذة طِعمة"** في كل زمان لكل من يشتهى أنْ يقطف منكِ الحب والحنان.

+ أختم هذا الموضوع وأقول: إنَّ **"مديحة الثلاثين"** التي تناولناها بالدراسة والتأمل في هذا المقال ما هي إلّا مداخل ندلف منها للدخول إلى عظمة وجبروت هذا الإناء الإلهي والمدينة المقدسة للملك العظيم. ليتَ كلَ من يُشارك في صلاة تمجيد للعذراء وينشد مع المرنمين هذه المديحة أنْ يتأمَّل جمالَ هذه الصفات والكمالات.

النعمةُ والإرادةُ الحُرَّة

بينَ القديس أوغسطينوس والقديس يوحنا كاسيان (ج١)

دكتور/ أمجد شوقي

١. النعمة عند القديس أوغسطينوس[١]:

تَعتَبر الكنائسُ الغربيةُ القديسَ أوغسطينوس **"مُعلِّمَ الكنيسة"**، وتعتبره أيضًا **"مُعلِّمَ النعمة الأوَّل"**. حيث يُعَدُّ تعليمُه عن النعمة من الركائز الأساسية للاهوت المسيحي الغربي. في نفس الوقت تُشكِّلُ النعمة المفهوم العقيدي الأساسي الذي يربط كل تعاليمه معًا.

بَنَى القديس أوغسطينوس تعليمه على ثلاثة عناصر رئيسية:

١- الله كُلّيُ القدرة والسيادة والسلطان، بالتالي لا يمكن للإنسان أنْ يقاوم إرادته أو أنْ يرفض عمل نعمته.

٢- بسبب السقوط، يرثُ كلُّ إنسانٍ الخطية الأصلية بالتالي هو - حسب طبيعته - فاسدٌ تمامًا وغيرُ قادرٍ على أنْ يريد أو يفعل الصلاح.

٣- الله حسب قدرته وحكمته التي لا نعلمها سبقَ أنْ اختارَ بعض البشر للخلاص وبعضهم للهلاك.

يُعرِّف القديس أوغسطينوس الاختيار أنه **"تدبير الله لأعماله المستقبلية، هذا التدبير لا يمكن تغييره أو تضليله"**[٢].

فالله إذن يختار بقدرته وسلطانه وحريته هؤلاء الذين هو يريدهم أنْ يخلصوا ويهبهم نعمته وهم بدورهم لا يستطيعون أنْ يعاندوا سلطان وقدرة النعمة. اعتَبرَ القديس أوغسطينوس إنَّ النعمةَ هي قوة داخلية تُغيِّر الإرادة وتمكِّنها ولا يستطيع الإنسان مقاومتها. النعمة إذن تأخذ المبادرة فهي تسبقُ كل حركة إرادية نحو الله وهي في نفس الوقت تُعطي الإرادة الإنسانية القدرة على المحبة وعلى فعل الصلاح

---

(1) Stuart Hall: Doctrine and Practice in the Early Church: 1991:205-9.
Jaroslav Pelikan: Christian Tradition: A History of the Development of Doctrine: V I: 1971: 293 – 307.

(2) J Pelikan : P297.

وبدونها تبقَى الإرادةُ الإنسانيةُ أسيرةً للأنانية. رفضَ القديس أوغسطينوس الرأيَ القائلَ إنَّ النعمةَ تُمنَح بناءً على استحقاقٍ سابقٍ أو معرفةٍ سابقة، فالله حسبَ رأيه لا يختارنا لأننا نميل نحو الصلاح أو لأننا سوف نميلُ نحو الصلاح، لكن نحن نميل نحو الصلاح لأنه اختارنا ووهبنا نعمته.

كرَّرَ القديس أوغسطينوس قولَ الرسول بولس **"إنَّ الله هو العاملُ فيكم أنْ تريدوا وأنْ تعملوا من أجل المَسَرَّة"** (في٢:١٣)، وقدَّمَه كبُرهانٍ على إنَّ الإرادة البشرية فاسدةٌ ولا بُدَّ أنْ تُشفَى أولًا بالنعمة لكي يبدأ الإنسان ويريد الصلاح. دَفَعَهُ هذا الشرحُ إلى التأكيد على أنَّ البشرية أصبحت بالسقوط فاسدةً بكليتها ووارثةً لخطية آدم وحاملةً لذنبه ومستحقةً للدينونة. رأى القديس أوغسطينوس أنَّ نعمةَ الله لا تقاوَم والله عندما يمنح نعمته لا يستطيع الإنسان معاندتها لأنها تتغلَّب بقوةِ الله على مقاومة الإنسان وتقوده إلى الإيمان والثبات بشكل أكيد، وقادَهُ هذا الرأيُ إلى الإيمان بسَبقِ اختيار الله لهؤلاء الذين سوف ينالون نعمته وبالتالي سوف يخلصون. يعتمد هذا الاختيار على إرادة الله وسلطانه المطلق. بهذا السلطان اختار الله مجموعة من البشر للخلاص واختار الباقيين للهلاك. إنْ كان أغلبُ البشر لم يؤمنوا وسوف يهلكون فهذا اختيار الله الذي لا يمكننا فهمُ حكمته. فسَّرَ القديس أوغسطينوس قولَ الرسول: **"الذي يُريد أنَّ جميعَ الناس يخلصون وإلى معرفة الحق يقبلون"** إنه يعني إنَّ جميع المختارين يخلصون.

تأثَّرَ القديس أوغسطينوس في رؤيته للنعمة الإلهية بخبرته الخاصة. فهو عَرِفَ الصلاحَ قبل توبته لكنه لم يكن قادرًا على العيش به إلى أنْ حرَّرَته النعمة. كذلك رأى أنَّ البيلاجيين لا يُعطون أيَّ اعتبارٍ لفاعلية الصلاة من أجل الخطأة متذكرًا الدور الذي لعبته صلوات أمه القديسة مونيكا في توبته.

من أقواله عن النعمة والاختيار:

[لا يبادر أحدٌ إلى الإيمان أو الرجاء أو المحبة ما لم تجذبه إرادة الله أولًا. وهذا لا يُمنَح بحسب استحقاقنا بل بحسب رحمته].[٣]

[إنَّ الاختيار نفسه الذي نختار به الله قد أعدَّه الله فينا، وإلّا لما قيلَ تسبقني رحمتك]. [٤]

([3]) Augustine: Ad Simplicianum: 1.2.13

(4) Augustine: Ad Simplicianum: 1.2.14

[لم يقال عن يعقوب و عيسو **"عملا خيرًا أو شرًا فأحببت يعقوب و أبغضت عيسو"** بل قبل أنْ يولدا وقبل أنْ يفعلا خيرًا أو شرًا قيل الأكبرُ يخدِمُ الأصغرَ لكي يثبت قصدُ الله حسب الاختيار، لا من الأعمال بل من الذي يدعو]. (٥)

[إنَّ إرادةَ الإنسانِ حُرَّةٌ بالفعل، لكنها ليست حُرَّةً من الخطية إلّا بنعمة الله]. (٦)

[لدينا الإرادة الحرة لاختيار الخير أو الشر لكن بدون نعمة الله لا يمكننا أنْ نختارَ الخير] (٧)

[المثابرة (تدوم) إلى النهاية، لأنَّ مَن يقتنيها يُثابر إلى النهاية، يقتنيها الكثيرون، لكن لا يمكن لأحدٍ (اقتناها فعلًا بالنعمة) أنْ يفقدها. ليس هناك خوفٌ من أنَّ إنسانًا مثابرًا إلى النهاية تنشأ فيه إرادة شريرة تجعله لا يُثابر إلى النهاية. توهَب هذه العطية الإلهية بالصلاة ومتى أُعطيَت لا يمكن أنْ تُفقَد بسبب العناد]. (٨)

[ما نؤكده إنَّ المثابرة التي نُثابر بها في المسيح إلى النهاية هي عطية من الله. أعني ب **"إلى النهاية"** الوقتَ الذي تُختَم فيه هذه الحياة إذ أنَّ خطرَ السقوط موجودٌ فقط خلاله.

بالتأكيد لا نقول عن إنسانٍ لم يُثابر إلى النهاية أنه بأيّ حالٍ نالَ تلك المثابرة التي نتحدَّث عنها لكن مَن يُثابر إلى النهاية]. (٩)

[اخترنا في المسيح قبل تأسيس العالم لا لأننا سنكون قديسين وبلا لوم بل لنكون كذلك]. (١٠)

[لا يمكننا أنْ نُريد (الصلاحَ) إنْ لم نُدعَ، وبعد الدعوة عندما نريد فإنَّ إرادتنا وفعلنا لا يكونان كافيَين إنْ لم يُعطِ اللهُ القوةَ للعدّائيين ويقودهم إلى حيث يريد]. (١١)

لخَّصَ أوين شادوك لاهوتَ النعمة عن القديس أوغسطينوس قائلًا: (١٢)

[الخطية الأصلية والشهوة الموروثة كنتيجةٍ للسقوط حوَّلَت الجنسَ البشري إلى **"حشد للهلاك"**.

---

(5) Augustine: Ad Simplicianum: 1.2.16
(6) Augustine: Ad Simplicianum: 1.2.12
(7) Augustine: Ad Simplicianum: 1.2
(8) Augustine: On the Gift of Perseverance in Four Anti-Pelagian Writings: P279
(9) Augustine : Op.cit : P271
(10) Augustine: Op.cit : P260
(11) Augustine: Op.cit : P238
(12) Owen Chadwick: John Cassian : A Study of Primitive Monasticism: 1950:110

إنْ كانت عدالةُ الله تُعني شيئًا فإنَّ هذه الخطية تستوجبُ أشدَّ العقوبات، إذًا يجب أنْ يُدان كلُّ البشر إلى الجحيم الأبدي. لكنَّ رحمةَ الله عظيمةٌ لدرجة إنه من هذا الحشد يَختار نفوسًا - ليست قليلة - يسبق فيُعيّنها للخلاص دون اعتبارٍ لاستحقاقاتها المستقبلية. نعمته تغيرهم وتقودهم وتوجههم طوال حياتهم وتدخلهم إلى الملكوت الأبدي.. النعمة هي التي تبدأ وترافق وتتمم الخلاص. هذه النعمة لا تقاوم أي إنها تُحرِّر الإرادة من عبودية الخطية وتمنحها الحرية الحقيقية لفعلِ الخير، فلا يمكن للإرادة أنْ ترغَب في العودةِ ثانيةً إلى الشر. معني هذا أنَّ البعضَ مُعيَّنٌ منذ الأزل للحياة والبعض الآخر للهلاك. عندما يسأل العقلُ البشري: لماذا نالَ هذا الإنسانُ نعمةَ الثبات بينما لم ينلها آخرُ لا يَسَعنا إلّا أنْ نُجيب بأنَّ عنايةَ الله لا تُدرَك ونرجع إلى قول القديس بولس: **"يا لعُمق غِنى الله وحكمته وعلمه. ما أبعد أحكامه عن الفحص وطرقه عن الاستقصاء"].**

الصراع البيلاجي[١٣]:

شهدت بداية القرن الخامس الميلادي صراعًا عنيفًا حول النعمة الإلهية بين القديس أوغسطينوس وبين بيلاجيوس (٣٦٠-٤٢٠) وأتباعه. كان بيلاجيوس راهبًا إنجليزيًا واشتُهرَ بنُسكه الشديد وبوعظه الأخلاقي المؤثر في روما، هالَهُ أثناءَ إقامته في روما تعامل المسيحيين مع وصايا الإنجيل وعدم تقديرهم للمسؤولية الأخلاقية السلوكية. لذلك شدَّدَ في عظاته على دور الإرادة البشرية في اختيار الصلاح والحياة بالوصية الإلهية. ما كان الله - حسب رأيه - يُعطي الإنسانَ الناموسَ والوصايا إنْ لم يكن الإنسان قادرًا بإرادته على اختيار الوصية بحريته وعلى تنفيذها. مَرَّ بيلاجيوس في طريقه إلى فلسطين بمدينه هيبّو بينما كان القديس أوغسطينوس مسافرًا بعيدًا عن المدينة، لذلك لم يُقابله وأكملَ رحلته إلى فلسطين، لكنه تركَ وراءَهُ أحدَ تلاميذه الذي استمرَّ ينشرُ تعاليمَ معلمه. لم يتقبَّل بيلاجيوس ما رآه توجهًا نحو القدريَّة في كتابِ القديس أوغسطينوس "عن الإرادة الحرة" و في نفس الوقت رأى أنَّ التعليم بأنَّ طبيعةَ الإنسان فسدَت تمامًا لدرجة إنها أصبحت بلا أي قدرة على طاعة الوصية هو خضوع كارثي لتعليم ماني الذي كان يتبعه أوغسطينوس قبل توبته. علَّمَ بيلاجيوس أنَّ دَورَ

(13) Henery Chadwick: The Early Church :1993: P 227-33.

B.B. Warfield: Augustine & Pelagian Controversy : The Origin & Nature of Pelagianism: NPNF1-05: P 13-71

النعمة يأتي تاليًا للإرادة، وإنها تعمل خارجيًا على مستوى الذهن لتسند الإرادة، وأننا نَقَعُ في الخطية حين نختار بإرادتنا أنْ نُقلِّد آدم في عدم طاعته للوصية وليس بسبب وراثة الخطية كما علَّمَ أوغسطينوس.

رأى بيلاجيوس أنَّ الإنسان يستطيع أنْ يختار الصلاح بإرادته، وأنه يقدر ويستطيع أنْ يطيع الوصية الإلهية ويعيش في القداسة إنْ هو انحاز بإرادته الحرة إلى الله. بنى بيلاجيوس تعليمه عن الإرادة الحرة على ثلاثة أعمدة:

١- **قُدرة الإنسان على الحياة في البر بإرادته:** الإنسان يستطيع بقدرته على أنْ يحيا في القداسة إنْ هو اختارها بإرادته.

٢- **رفضَ وراثةَ الخطية التي نادى بها أوغسطينوس:** ما دامَ الإنسانُ يستطيع أنْ يختارَ البر فهو إذن لم يَرِث الخطية.

٣- **النعمة تسند الإرادة:** تعمل النعمة خارجيًا لتُسهِّل للإنسان الحياة حسب الوصية لكنَّ الإرادة هي التي تأخذ الخطوة الأولى.

انزعجَ القديس أوغسطينوس من تعاليم بيلاجيوس وتلاميذه واتهمهم بإنكار دور النعمة في خلاص الإنسان، ولاحَقَهم بالعظات والكتب والخطابات إلى الأساقفة الآخرين وإلى الإمبراطور. عرضَ بيلاجيوس تعاليمه في مجمع مكاني عُقِدَ في مدينة اللِد في فلسطين (٤١٥) ودافع عن كتاباته وشروحاته فبرَّأه المجمع واعتبر أنَّ إجاباته مقبولة. استمرَّ القديس أوغسطينوس في هجومه على البيلاجية وسانده أساقفة أفريقيا، وأدَّت جهوده إلى إدانة بيلاجيوس في مجمعَين عُقِدا في ميلفيس (٤١٦م) في الجزائر، ثم في قُرطاج (٤١٦م). استمرَّ القديس أوغسطينوس في ملاحقته للبيلاجية إلى أنْ أصدرَ الإمبراطور أمرًا بحرمانها (٤١٨م)، ثم أدانها المجمعُ المسكوني في أفسُس (٤٣١م). كَتَبَ القديس أوغسطينوس **أربعةَ كُتبٍ ضد البيلاجية:**

١- عن الطبيعة والنعمة.

٢- عن الروح والحرف .

٣- ضد بيلاجيوس.

٤- عن نعمة المسيح والخطية الأصلية.

خطواتٌ في طريقِ النجاحِ والإبداع (١٨)

خرجَ الزارعُ ليزرعَ بذاره

ἐξῆλθεν ὁ σπείρων τοῦ σπεῖραι τὸν σπόρον αὐτοῦ

دكتور/ جرجس بشرى

الزارعُ هو مثالٌ للشخص الناجح الذي يسير في طريق تحقيق إنجازاته، ويمكننا أنْ نرى ذلك على النحو التالي:

١- **خرج** (ἐξῆλθεν):

الفعل خرج يشير إلى الانتقال من مكانٍ لآخر، أو الذهاب لإنجازِ مُهِمَّةٍ مُحَدَّدَة (to fulfill a mission)، وهكذا فإنَّ إنجاز المهام يتطلَّب منَّا أنْ نتحرَّك من نقطة البداية التي نمكثُ فيها الآن، أي من الوضع الحالي الذي نحيا فيه، ونتوَجَّه نحو الهدف الذي نُريد تحقيقه. فإنْ لم نخرج من دائرة الحياة التي نعيش فيها في الوقت الحالي فلن ننجز شيئًا جديدًا. والبعض يُسمي هذا: الخروج من منطقة الراحة، أي ما اعتدنا أنْ نفعله. وهذا لا يعني أنَّ ما نفعله في الوقت الحاضر شيءٌ أقلُّ قيمة، ولكنْ يشير إلى أهمية التطوير والتحسين المستمر. قد نحتاج أنْ نفعل نفس الشيء الذي اعتدنا فعله وفي نفس المكان ولكنْ بشكلٍ أفضل، فإنْ أردتَ أنْ تسيرَ في طريق الإنجازات اخرُج من الدائرة التي تعيش فيها الآن نحو ما هو أفضل.

٢- **الزارع** (ὁ σπείρων):

الكلمة هنا في أصلها اليوناني ليست اسمًا، ولكنها صفةٌ مُشتقة من الفعل في زمن المضارع المبني للمعلوم (σπείρω = أزرعُ)، وهو ما يُقابِل في اللغة العربية اسمَ الفاعل، وهذا الاشتقاق في اللغة اليونانية يُشير إلى الاستمرار والنشاط والديناميكية. وهذه سماتٌ مُهِمَّةٌ في طريقة النجاح. فما نفعله لا يأتي بثماره إنْ لم يكن يحدُث بشكلٍ دائمٍ ومُكرَّرٍ مع المُتابَعة.

٣- **ليزرع** (τοῦ σπεῖραι):

جاءت هذه الكلمة في اللغة اليونانية في المصدر، ومن وظائف المصدر التعبير عن الغرض (Infinitive of purpose)، إشارةً إلى وضوح الهدف والرؤية في ذهن الزارع الذي خرجَ بهدف أنْ يزرع. فالزارع عندما خرجَ كان يعرفُ جيدًا الهدفَ الذي خرجَ لأجله، وأنتَ أيضًا ضعْ دائمًا نُصبَ عينَيك الهدفَ الذي خرجتَ لأجله. وهذا يُذَكِّرُنا بما اعتادَ القديس أرسانيوس أنْ يقوله لنفسه، خوفًا من أنْ يحيدَ عن هدفه، فكان يُذَكِّرُ نفسه قائلًا: "يا أرساني تأمَّل فيما خرجتَ لأجله".

٤- **بذاره**:

ماذا كان سيحدث لو كان الزارع يزرع "تُرابًا" أو "أحجارًا صغيرة" بدل "البذار"؟ ما الفرق بينهما؟ ولماذا خرج ليزرعَ بذارًا؟ الفرق ببساطة أنَّ البذرةَ الصغيرةَ جدًا تُمثِّلُ قوةً كامنةً قادرةً أنْ تنموَ وتكبرَ وتُثمرَ وتأتيَ بخيراتٍ كثيرة.. وهذا يُمثِّلُ الاستثمار، فقد تستثمر في شيءٍ صغيرٍ جدًا، ولكنْ مع الوقت يصبح قوةً هائلةً ويجلب خيرًا وفيرًا، قد تبدأ بالاستثمار في تَعَلُّم مهارةٍ بسيطة ولكنْ مع قوةٍ تُصبحُ خبرةً عظيمة، وتجلبُ لكَ الكثيرَ من الخيرات. فاهتم كثيرًا أنْ تزرع، ولكن فكِّر ماذا تزرع؟ لأنَّ ما يزرعه الإنسان إياه يحصد.

وجاء في النص اليوناني الضمير الشخصي (αὐτοῦ) في كلمة "بذاره" للإشارة إلى الملكية، أي يزرع بذاره هو، فلكل شخصٍ مواهبه الخاصة، فاهتم أنْ تستثمرَ في مواهبكَ الشخصيةِ التي تتفرَّد بها، ولا تُقارن نفسكَ بالآخرين، فلكل شخصٍ له بذارُه الخاصة، فازرع بذاركَ وليس بذارَ الآخرين.

٥- سقط:

البذار لن تأتي بالثمار لو لم تُزرَع في المكانِ المناسب، فاجتهد أنْ تضعَ طاقتكَ واستثمارَكَ في المكان المناسب، أو مع الأشخاص المناسبين، ولكن لا تيأس إذا سقطَ بعضُ البذار في مكانٍ غير مناسب، إذا سقطَت بعضُ البذار بين الأشواك، أو على الأحجار، أو على الطريق، فدائمًا تَوَقَّع الخسارة، ولكن لا تجعل ذلك يُثنيك عن الاستمرار في الزراعة. فيومًا ما ستجد بذارُك تربةً جيدةً تنمو فيها، وستعوضك عن كل ما خسرته. لا تيأس عندما تتعرَّض لخسارة بعض بذارك، فستجد المكان الذي يعوِّضك عن كل خسارتك السابقة.

٦- لماذا يزرع؟

قد لا تجني ثمارَ ما زرعتَه، ولكن تذكَّر أنَّك جنَيتَ ما زرعه آخرون، فلو امتنعوا عن الزراعة لَما استمتعتَ أنتَ بثمارِ ما زرعوا، ولو لم تزرع أنتَ اليوم، فآخرون سوف يُعانون بسببِ غيابِ ثمارِ ما كان يجبُ عليكَ أنْ تزرعه.

- ازرع اليوم لتجنِ ثمارَ ما زرعته غدًا. وحتى لو لم تجنِ أنتَ الثمارَ فسيجنيها الآخرون كما أخذتَ أنتَ من ثمار ما لم تزرعه.
- ازرع دراسةً لتجنِ معرفةً غدًا.
- ازرع عادةً بسيطةً ولكن دائمةً لتجنِ أسلوبَ حياةٍ في المستقبل.
- ازرع طعامًا صحيًّا وأسلوبَ حياةٍ صحيًّا لتجنِ حياةً صحيةً في المستقبل.
- ازرع علاقاتٍ طيبةٍ لتجنِ محبةً وتناغمًا مع الآخرين.
- ازرع استثمارًا اليوم لتجنِ استقرارًا ماليًا غدًا.
- ازرع تربيةً صالحةً اليومَ وتكريسَ وقتٍ لذلك، لتبنيَ جيلًا كما تريد أنْ تراه.
- ازرع هنا على الأرض لتجنِ الكثيرَ في ملكوت السماوات.

٧- ماذا لو لم يزرع:

من لا يزرع في الوقت الذي يجب أنْ يزرع فيهِ، فسوف يندم وقتَ الحصاد، أو كما يقول سفر الأمثال: "الكسلان لا يحرُث بسببِ الشتاء، فيستعطي في الحصاد ولا يُعطى" (أم٢٠: ٤).

رَفعُ البخور في الكنيسة
معناه الإيماني وتاريخه اللِّيتورجي

الراهب القس أثناسيوس المقاري

أولًا: رفعُ البخور في الكنيسة من الوجهة الإيمانية:

يقترن حرق البخور في الكنيسة **بحلول مجد الله**، فيقول سفر الملوك الأول: «**وكانَ لمّا خرجَ الكَهَنة مِن القُدسِ أنَّ السحاب ملأَ بيتَ الرب، ولم يستطع الكهنة أنْ يقفوا للخدمة بسبب السحاب؛ لأنَّ مجدَ الربِّ ملأَ بيتَ الرب**» (١مل٨: ١٠ -١٢)، فالبخور المرفوع فوق المذبح، هو تعبيرٌ لحلولِ مجدِ الربِّ عليه، وتعبير **رائحة ذبيحة الابن على الصليب** التي اشتمَّها الله الآب عند الُجلجُثة. فمجدُ الله هو مجدُ الصليب «(قال يسوع) **قد أتَت الساعة ليتمجَّد ابنُ الإنسان، الحق الحق أقول لكم إنْ لَم تَقَع حبَّةُ الحنطة في الأرض وتمُت، فهي تبقى وحدها، ولكنْ إنْ ماتَت تأتي بثمر كثير**» (يو١٢: ٢٣، ٢٤).

وكان لتقديم البخور في خيمة الاجتماع وفي هيكل سليمان مكانٌ بارز في كنيسة العهد القديم، فخارج قدس الأقداس وأمام حجاب مقفول أُقيمَ مذبح البخور؛ ليُرفَع عليه البخور صباحًا ومساءً كأمرِ الرب[١]. وكان يُسمَّى "**بخورًا عطرًا**" [٢]، حيث يقتصر استخدامه على العبادة فقط، ولم يكن مسموحًا لأحَدٍ أنْ يصنع مثله ليشمُّه، وإلّا تُقطَع تلك النفسُ من شعبها [٣].

وبتحوُّل العبادة من عهدٍ قديمٍ آنَ له أنْ يزول، إلى عهدٍ جديدٍ تأسَّسَ بدمِ المسيح، ارتقى حرقُ البخور إلى مفهوم جديد لعلاقة جديدة نشأت بين الإنسان والله، حيث انتقل مذبح البخور ليكون في داخل قدس الأقداس نفسه، بعد أنْ زال الحجاب الذي كان يفصل بين الناس وبين رئيس الكهنة، إذْ صارَ المسيح له المجد هو رئيس كهنة كنيسة العهد الجديد، وإلى الأبد، وهو قائم كل يوم على المذبح، وليس لمرةٍ واحدةٍ في السنة.

---

(١) خروج ٣٠: ٨، ٩، ٤٠: ٥ ، ٢٧: ١ ، ٣٨: ٧

(٢) خروج ٢٥: ٦

(٣) خروج ٣٠: ٣٧، ٣٨

ومِن ثَمَّ لم يعُد هناك مذبحان خارج الأقداس، واحد لتقديم الذبيحة، وآخر لرفع البخور، بل صارا كلاهما مذبحًا واحدًا، تُقدَّم عليه الذبيحة، ويُحرَق عليه البخور، فاقترنَ البخور بالذبيحة على المذبح، وهكذا أصبحت كنيسة العهد الجديد تُصلّي وتقول: "طيبٌ مسكوبٌ هو اسمك القدوس، وفي كل مكان يُقدَّم بخورٌ لاسمك القدوس، وذبيحة طاهرة" (سر بخور عشية). وهذه هي ذبيحة المسيح التي قدَّمها إلى الآب كإرادة أبيه ومسرته، فاشتمها أبوه الصالح رائحةَ سرورٍ ورضا عن كل العالم. وتقول إحدى الصلوات السرية التي يُصلّيها الكاهن في القداس: "يا الله الذي قَبِلَ إليه مُحرَقة إبراهيم، وبَدَل إسحق أعددتَ له خروفًا، هكذا اقبَل منا نحن أيضًا يا سيدنا مُحرقة هذا البخور".

ونبوءة ملاخي النبي: «**لأنه من مشرق الشمس إلى مغربها اسمي عظيم بين الأمم، وفي كل مكان يقرَّب لاسمي بخور وتقدمة طاهرة. لأنَّ اسمي عظيم بين الأمم قالَ ربُّ الجنود**» (ملا١:١١)، وهذه النبوءة لا تَقصُد بخور العهد القديم بل الجديد، لأنَّ بخورَ العهد القديم ما كان يجوز رفعه إلّا في خيمة الاجتماع، ثُمَّ في الهيكل بعد ذلك في أورشليم، وليس في كل مكان من مشرق الشمس إلى مغربها كقول النبي.

<u>ودائماً ما يَقترن البخور في الكنيسة بالصلاة</u>. فنقول في صلاة النوم كل يوم: **"لتستقم** (أي لتصعد) **صلاتي كالبخور قدامك"**[٤]. ويقول الكاهن في سر بخور عشية: "لتستقم أمامك صلاتنا مثل بخور". فالبخور في العبادة، هو الصلاة الصاعدة أمام الله، وهو يصاحب صلوات القديسين **"وجاءَ ملاكٌ آخرُ ووقف عند المذبح، ومعه مبخرة من ذهب، وأعطيَ بخورًا كثيرًا، لكي يُقدِّمه مع صلوات القديسين جميعهم على مذبح الذهب الذي أمام العرش، فصعدَ دخان البخور مع صلوات القديسين، من يد الملاك أمام الله"** (رؤ٨:٣، ٤). بل لقد ذُكِرَ صراحةً بأنَّ البخور هو صلوات القديسين[٥].

فرائحة البخور، هي عطر صلوات القديسين، ورائحة معرفة المسيح فيهم **"فشكرًا لله الذي يقودُنا في موكب نُصرته في المسيح كل حين، ويُظهِر بنا رائحةَ معرفته في كل مكان؛ لأننا رائحةُ المسيح الزكية لله"** (٢كو١٤:١٥).

فالبخور المُقدَّم أمام أيقونات القديسين هو تعبير صلواتهم المرفوعة كل حين أمام عرش الابن

---

(٤) مزمور ١٤٠:٢ (سبعينية)

(٥) رؤيا ٥:٨

الوحيد تشفع في ضعفنا وفي مذلتنا. والبخور الذي يمُرُّ بين الشعب، والذي يُعطى للكهنة، هو تعبير صلواتهم وطلباتهم المرفوعة أمام الله، والبخور الذي يُقدَّم أمام رئيس الكهنة، هو تعبير صلواته التي يرفعها أمام الله عن الشعب.

والبخور لا يُقدَّم لأي من هؤلاء بل لله، فقد أمرَ الربُّ أنْ يُقدَّم البخور له وحده وليس لأحدٍ سواه، إذ جعله قُدسًا له[٦]. ولكنه يُرفَع أمام الإكليروس والشعب ليُصاحِب صلواتهم التي يرفعونها إلى الله. وكلما ازدادت الدرجة الكهنوتية ازدادت معها مسؤولية الصلاة والطلبة من أجل الشعب، لذلك تزداد أيادي البخور مع التقدُّم في الدرجة الكهنوتية.

والأمرُ الجدير بالانتباه هنا، هو أننا حين نكون في حضرة المسيح واقفين أمام الذبيحة المقدسة، تصلى الكنيسة من أجل جميع الراقدين والأحياء، من أجل الراقدين بدءًا من السيدة العذراء مريم والدة الإله وجميع الشهداء والقديسين والأنبياء والآباء، ومن أجل الأحياء بدءًا من الأب البطريرك والآباء الأساقفة والقمامصة وسائر طغمات الإكليروس إلى جانب الشعب أيضًا. وكل خروج عن هذا المضمون هو خروج عن مفهوم ليتورجية القداس الإلهي.

وفي وصف تشييع جسد البابا بطرس خاتم الشهداء (٣٠٠-٣١٠م) إلى القبر بعد استشهاده نقرأ: [وحملوا سعفَ النخيل كعلامة للنصرة، ومشاعل وتسابيح حلوة، وبخورًا عطرَ الرائحة، خرجوا محتفلين بانتصاره السمائي. واستودعوا جسده في المقبرة التي كان قد أقامها هو بنفسه، والتي صارت منها عجائب ...].

ولقد أشارت السائحة الأسبانية إيجيريا التي زارت أورشليم خلال الفترة (٣٨١-٣٨٤م) لاستخدام البخور في السهر الكاتدرائي في كنيسة أورشليم، فتقول: "بعد تلاوة المزامير.. يؤتَى بالمباخر إلى المغارة (القبر) في كنيسة القيامة، فتمتلئ بازيليك القيامة كلها من رائحة العطور[٧]".

ونتنسَّم في رائحة البخور أيضًا **أريج بيت الله**، فلكل مناسبة في الكنيسة رائحة تميزها، فرائحة الكنيسة في الصوم المقدس الكبير، غير رائحتها في شهر كيهك المبارك، غير رائحتها في عيد القيامة والخمسين المقدسة، وهكذا فهي رائحة لا تُشتَمُّ بالحواس الخارجية، ولكنها رائحة المسيح الزكية المتنوعة بتنوع مراحل خلاصنا التي أكملها فينا ومن أجلنا.

---

(٦) خروج ٣٠:٣٦-٣٨

(7) Mateos, La vigile cathedrale chez Egerie, dans OCP., 27,1961,p.301.

يقول مار أفرام السرياني (٣٠٦ – ٣٧٣م):

[أتوسل إليكم ألا تكفنوا جسدي بالأطياب، فالروائح الطيبة تليق بيت الله. احرقوا بخوركم في بيت الرب كرامةً له ومديحًا].

وكل التقدمات والعطايا والنذور والبكور والعشور التي تُقدَّم لله في كنيسته المقدسة مع الشكر، هي رائحة بخور يشتمُّها الله بالرضا والسرور. وهذا ما تقوله أوشية القرابين: "اذكر يارب صعائد وقرابين وشكر الذين يقربون، كرامةً ومجدًا لاسمك القدوس. اقبلها إلَيك على مذبحك المقدس الناطق السمائي رائحة بخور".

والبخور الذي يُرفَع أمام الله في الكنيسة باعثٌ على استجلاب تحنُّنه وطلب غفرانه ورضاه. وهو ما يقوله الكاهن بعد أنْ يمُرَّ بالبخور على الكنيسة كلها، ويعود إلى المذبح، فيقف أمامه وهو حامل البخور وباسط يديه ويقول: "يا الله الذي قبلَ إليه اعتراف اللص اليمين على الصليب، اِقبل إليك اعتراف شعبك، واغفر لهم خطاياهم، من أجل اسمك القدوس الذي دُعيَ علينا، كرحمتك يا رب وليس كخطايانا".

ولعل أوضح تعبير تستخدمه الكنيسة في هذا المجال، هو قول الكاهن أيضًا في أوشية بخور الإبركسيس: "اقبَل منا با سيدنا مُحرَقة هذا البخور، وأرسل لنا عوضه رحمتك الغنية واجعلنا أنقياء من كل نَتَن الخطيئة...". وفي سر بخور باكر يقول الكاهن أيضًا: "اقبل إلَيك هذا البخور من أيدينا رائحة بخور، غفرانًا لخطايانا مع بقية شعبك".

وهنا يَلزَم أنْ نعرفَ أنَّ طقسَ تقديم البخور عند السريان والموارنة، يرتبط لديهم بطقس كفّاري أكثر من الكنيسة البيزنطية"[٨]. أمّا الكنيسة القبطية فليس لديها مفهوم التكفير كأحَدِ المعاني الرئيسية للبخور كما في الكنائس الأخرى[٩].

وهكذا نجدُ أنَّ حرقَ البخور في كنيسة العهد الجديد صار يحملُ معنى الخدمة المقدسة كلها، وأنواع العطايا التي تُقدَّم لله فيها، وذبيحة المسيح التي لا يكون غفران للخطايا إلّا بها، وذبيحة التسبيح أي الصلوات، واستجلاب الرحمة من الله.

(في العدد القادم نناقش رفع البخور من الوجهة الليتورجية)

---

(8) Chevetogne, La priere des Eglises de Rite Byzantin, p. 365.

(٩) يوحنا ثابت وآخرون، الفرض الإلهي، مرجع سابق، ص ٣٣.

أيُّهُما أحلى: أنْ نتكلم عن اللّه، أم عن الخطية؟

المهندس/ إيهاب عازر

إذا سألنا: مَن أحلى، الله أم الخطية؟

طبعًا الله أحلى.

فلنتحدث إذًا عن الله. نتحدث عن حلاوته وعن حبه الرائع لنا وعمله العظيم معنا.

"لأنه إنْ كانَ بخطية الواحد قد ملك الموت بالواحد، فبالأولى كثيرًا الذين ينالون فيض النعمة وعطية البرّ سيملكون في الحياة بالواحد يسوع المسيح" (رو٥: ١٧).

عهد النعمة:

العهد الجديد يُسَمَّى **عهدُ النعمة**، فما معنى كلمة "**النعمة** "؟

عندما يُنعِم ملكٌ على شخصٍ ب١٠٠ فدان، فهذا معناه أنَّ الملكَ أعطى **هديةً مجانيةً** لهذا الشخص الذي لم يعمل شيئًا أو يدفع ثمنًا لهذه الهدية المجانية.

"لأنكم بالنعمة مُخَلَّصون بالإيمان وذلك ليس منكم هو عطية الله" (أف٢: ٨).

"فإنْ كان بالنعمة فليس بعد بالأعمال، وإلّا فليست النعمة بعدُ نعمة" (رو١١: ٦).

خبرتنا الإنسانية علّمتنا أنَّ لكل شيء ثمنًا. لذلك **من الصعب فَهمُ الهدية المجانية من الله**، أي "**النعمة**". فنتخيّل أننا عندما نُصلّي ونصوم أننا أصبحنا نستحق حُبَّ الله وعطاياه، وأننا أصبحنا أفضل من غيرنا فنمتلئ بالكبرياء.

"أمّا الفريسي فوقفَ يُصلّي في نفسه هكذا: اللهم أنا أشكرك أني لستُ مثل باقي الناس الخاطفين الظالمين الزناة ولا مثل هذا العشار" (لو١٨: ١١).

"قد تبطَّلتُم عن المسيح أيها الذين تتبرّرون بالناموس (أعمال الإنسان التي طلبها الناموس) سقطتم من النعمة" (غل٥: ٤).

"لست أُبطل نعمة الله لأنه إنْ كان بالناموس برٌّ، فالمسيح إذًا ماتَ بلا سبب" (غل٢: ٢١).

النعمة هي هبةٌ حُرَّةٌ من كائنٍ مُحِبٍ لكائنٍ غير مستحق.

عندما نفهم **نعمة الله**، ننمو في علاقة حُبٍّ حقيقية مع الله، ونبدأ في فهم أعماق الحُب الإلهي وننمو روحيًا وننضج.

"نحن نحبه لأنه هو أحَبَّنا أولًا" (١يو٤: ١٩).

من نِعم الله الحلوة في العهد الجديد: سُكنى الله فينا

الله لم يكن يسكن في كل المؤمنين به في العهد القديم، بل كان يسكن فقط في الملوك والأنبياء وكان يفارقهم عندما يخطئون مثلما حدث مع شاول الملك (١صم ١٦: ١٤). وقد رأى داود النبي هذا الوضعَ المُرعِبَ فكان يصرخ للرب "روحك القدوس لا تنزعه مني" (مز٥٠). إلى أنْ تجسَّدَ الله ووهبَنا **نعمة العهد الجديد** وأصبح يسكن في كل واحد منا بنفسه ولن يفارقنا أبدًا "أنكم هيكل الله **وروح الله يسكن فيكم"** (١كو٣: ١٦).

سُكنى الله فينا معناها: أنَّ الله **لم يعُد بعيدًا مُنفصلًا عنا** مثل العهد القديم. ولم يعُد يتعامَل معنا من بعيدٍ لبعيد.

سُكنى الله فينا معناها: أنَّ **الله معنا ولن يتركنا ولن يتخلى عنا** أبدًا أبدًا كوعده الصادق (يو١٤: ١٦).

سُكنى الله فينا معناها: أنَّ **الله يعمل فينا بكل قوته** في كل لحظة من حياتنا.

سُكنى الله فينا معناها: أنه **لا يوجد أيُّ شيءٍ أو وسيط بيننا وبين الله** مثل موسى النبي في العهد القديم (١تي٢: ٥).

اللّه يعمل من داخلنا بكل قوته:

الله لم يعُد يتعامَل معنا من بعيدٍ لبعيدٍ مثل العهد القديم، عندما كان يصعد موسى وحده يتكلَّم مع الله ثم ينزل ويُخبر الشعب بما قاله الله (خر١٩). بل الله في العهد الجديد سكنَ واتحدَ بكل واحد منا **"أنتم فيَّ و أنا فيكم"** (يو١٤: ٢٠). ويشرح القديس كيرلس الإسكندري هذه الآية ["خميرة صغيرة **تُخمِّر العجينَ كله"** (١كو٥: ٦) (الخميرة تعمل بكل قوتها من داخل العجين)، هكذا فإنَّ أقلَّ كميةٍ من البركة (التناول من جسد المسيح) تدمج جسدنا كله معها، **وتملأها بفعلها المُقتدِر**، وهكذا يأتي المسيح ليكون فينا ونحن أيضًا فيه. لأنَّ المَرءَ يُمكن أنْ يقولَ بحقٍ إنَّ **الخميرةَ هي في العجين كله، وبالمثل العجين**

كله في الخميرة (فلا يُمكن فَصلُ الخميرة وحدها والعجين وحده بعد الاتحاد)][1].

ربنا يسوع يقول لنا: "**بدوني لا تقدرون أنْ تفعلوا شيئًا**"(يو١٥: ٥).

كلنا نعرفُ أنَّ ربنا يسوع متواضع، فلا يمكن فَهم هذه الآية بأنه يتعالى علينا، بل هو يكشف **لنا سرَّ قوتنا**، وهي أنَّ **الله ساكن فينا ويعمل من داخلنا.** وهو الذي يعمل الأعمال. "لأنَّ **اللهَ هو العامل فيكم** أنْ **تُريدوا** وأنْ **تعملوا** من أجلِ المَسَرَّة" (في ٢ : ١٣).

نعمل أعمال المسيح وأعظم منها.

يقول القديس بيشوي كامل [ربنا يسوع قال "الحق الحق أقول لكم من يؤمن بي فالأعمال التي أنا أعملها (المعجزات) يعملها هو أيضًا **ويعمل أعظم منها**" (يو١٤: ١٢). كيف ذلك، وكيف يكون أعظم منها **إلّا بالمسيح الحالّ فينا**][2].

✝✝✝✝✝✝✝✝

كلمات روحية لبناء النفس (٢٦)

+ قبول الشهيد أن يضحي بحياته ولا ينكر إيمانه، يرتكز على رؤية صادقة وشهادة أمينة، وروح مُخلِصة لفاديها.

+ الشهداء هم النجوم المتألقة بلمعانها وسط عالم فيه الظلمة حالكة الظلام.

+ معونة الروح القدس هي القوة التي من الأعالي، والمعونة التي من فوق، لتدعيم الحياة الروحية للسائرين على درب الملكوت.

+ الإنجيل ليس من اختراع الناس وتآليف البشر، ولكنه إعلان الله للباحثين عن الحق.

+ كلمات الرب يسوع يراها المؤمنون بالبصيرة الداخلية مضيئة متوهجة بنور الله.

+ خادم الكلمة يواصل مهمته بلا كلل، عالمًا أن الكلمة التي ينطق بها لها التأثير الأكبر على أفكار الناس وقلوبهم وسلوكهم ومصيرهم.

---

[1] تفسير إنجيل يوحنا للقديس كيرلس الإسكندري ج١ - طبعة ٢٠٠٩ - صفحة ٤١٥

[2] كتاب : ذبيحة إيماننا – صفحة ١٣

تأثير إيـمـاننا بعـقيدة الثـالــوث في حياتنا

الإكليريكي/ بيشوي فخري

إنَّ عقيدة الثالوث ليست نظريةً عويصةً نَدفعُ بها في ركنٍ بعيدٍ ونتركها لمجادلات المتخصصين، بل إنها عقيدةٌ لها أثَرُها في حياتنا اليومية، فالبشر مخلوقون على صورة الثالوث، مدعوُّون أنْ يُظهِروا على الأرض سِرَّ المحبة المُتبادَلة التي يحياها أقانيم الثالوث!.

أنْ نؤمنَ بالثالوث يُعني أنْ يتشكَّل سلوكُنا وفقًا للآتي:

١. أسلكُ كشخصٍ وليس كفرد:

أي أكون على اتصال بالآخرين في مشاركة الحب والحياة والشعور، فالإيمان بالثالوث يُلغي فكرةَ الانعزال والاستقلال والتَمَركُز حول الأنا، أو أنْ يكون الشخص مجرد رقم وتعداد وسط الناس، ولكن يُثّبت الحياة في علاقة مع آخرين ويؤكد علي كينونة الإنسان الهامَّة كعضوٍ قائمٍ تكتمل به الجماعة، فكلمة "شخص" في اللغة اليونانية هى (Prosopon - πρόσωπον)، وهى تُعني حرفيًا "ما أتطلَّع إليه في مَن أمامي"، أي أنَّ معنى الشخص يكمُن في وجود آخر أمامه يتواصل معه. فإنْ لَم يوجَد هذا الآخر فإنَّ معنى الشخص يصيرُ غيرَ مُتَحَقِّق. فالثالوث يُعلِّمُنا العمل الجماعي Team Work، فكل ما يصنعه الآب بالإبن في الروح القدس، ورغم التمايُز الأقنومي ولكن هناك وحدةٌ كاملةٌ بين الأقانيم في الجوهر؛ هكذا نتمايز كأعضاء في جسد المسيح ولكننا نعمل في وحدة واتحاد من خلال المسيح رأس الكنيسة. فالمسيحي يؤمن بالعمل الجماعي، وإفساح المجال للآخرين بحُب وانفتاح وفرح. أيضًا ليس هذا من منطلق اجتماعي إنساني بل من أساس لاهوتي.. الآخر لم يعد آخَرَ بالنسبة لي.. بل هو عضو فيَّ وأنا فيه في المسيح. وقد شرحَ الآباءُ حقيقةَ العلاقةِ بين أقانيم الثالوث بمُصطلح (περιχώρησις _ Peri-choresis)، أي "الاحتواء المُتبادَل" وهو ما يُقصَد به: الحفاظ على **الوحدة والشركة العميقة غير القابلة للانفصال، والتمايُز غير القابل للذَوَبان، والتساوي غير القابل للتَدَنّي**، وهذا هو الأساس الناضِج للعلاقات.

وقد حدَّد القديس يوحنا ذهبي الفم أنْ يُقال في قدَّاسه قبل تلاوة قانون الإيمان: [لنُحِبَّ بعضُنا بعضًا بقلبٍ واحد، حتى نستطيع أنْ نعترفَ بالآب والابن والروح القدس الثالوث المتساوي غير

المنقسم]؛ لأنَّ محبتنا بعضُنا لبعضٍ هي انعكاس للحب الإلهي الذي يوحِّد الآب والابن والروح القدس، فبدونها يكون اعترافُنا بالآب والابن والروح القدس اعترافًا باطلًا، إذ تُعوزه الشهادة العملية والأثر الفعَّال في حياتنا وسلوكنا.

إنَّ بفَهمِنا للوحدانية خارج الإيمان الثالوثي نظنُّ في الله كائنًا جامدًا هائلًا ومخيفًا، ذا سِماتٍ مُطلَقة، يخلق هذا الإيمان نوعًا من "الفردية والانعزالية"، إذ يتطلَّع المؤمنُ إلى الله كمثالٍ له، فيراه الوحيد الذي لا يُدنَى منه، كمَن هو معتزل في سماواته، لا تقوم فيه أيَّة حركة. أمّا الإيمان بالوحدانيَّة خلال سرّ التثليث فيُقدِّم نموذجًا إلهيًا للمؤمنين عن "وحدة الحب". فيحثنا على ممارسة الحب على إثرِ خطوات الثالوث القدوس وخلال عمله فينا. فتنصلح رؤيتي لا لذاتي فقط كشخص، بل وللآخر أيضًا كشخصٍ وكيانٍ وليس كشيءٍ يُستخدَم. الشخص كائنٌ له حضوره الخاص المتميز الذى يتحقَّق من خلال علاقةٍ مع أشخاصٍ آخرين يحيا لأجلهم.

يقول **جُبران خليل جُبران**:

"إنَّ الآخرين هم ذواتنا غير المعروفة تتجسَّد أمامَنا لتصيرَ منظورة، فعيشوا مع الآخرين بمحبَّة لتعرفوا أنفسكم، لأنّكم بهذه المعرفة تستطيعون أنْ تكونوا إخوة لهم وللمسيح".

٢. أن أسلك بمحبةٍ للآخر:

الإيمان بالثالوث يُميت محبة الذات ويُقيم محبة الآخر بإحترام للتمايُز وإتمام العمل في دائرةٍ من الحب، لقد صلَّى السيد المسيح ليلةَ آلامه قائلًا: **"لِيَكُونَ الْجَمِيعُ وَاحِدًا، كَمَا أَنَّكَ أَنْتَ أَيُّهَا الآبُ فِيَّ وَأَنَا فِيكَ، لِيَكُونُوا هُمْ أَيْضًا وَاحِدًا فِينَا... لِيَكُونَ فِيهِمُ الْحُبُّ الَّذِي أَحْبَبْتَنِي بِهِ"** (يو١٧: ٢١و٢٦)، فكما أنَّ أقانيم الثالوث كل منهم كائن في الآخر، هكذا الإنسان الذي جُعلَ على صورة الثالوث، مدعو "للثبات" في الله الثالوث، فالذين يثبتون في الله بالمحبة ويمتلئون من حضوره فيهم بالروح، هؤلاء يُعبِّرُون بقوةٍ عن المحبة التي هى الثالوث **"الله محبة"!**

إنَّ الثالوث هو مدرسة الحب، التي إنْ أسلمنا أنفسنا للإيمان بها نتأهل لعمل قوتها داخلنا فتتحطَّم الحواجز التي تفصل الإنسان عن أخيه، وتوحِّده مع الآخرين. وتعطيه القوة لأنْ يتجاوَز شعور العُزلة والانفصال، وتسمح له أنْ يُكَوِّن ذاته وأنْ يحفظ فرادته.

إنَّ الله الثالوث خلقَ الإنسان بحسبِ صورة الله ومثاله (تك١: ٢٧) هنا الله يُستعلَن ليس كمجرَّد "كائنٍ أعلى" لكن "إلهَ محبة"، يمدُّنا لا بأوامر نتلقّاها وتشريعاتٍ علينا تنفيذُها، بل أعطانا الإمكانيَّة لمحبة كل البشر الذين هم أيضًا مخلوقون على صورته ومثاله! وهذا هو هدف الله من وجود البشر:

التحرُّك نحو التَشّبُه بالله. أي أنْ نرتفع من مجرَّد الوجود البيولوچي إلى شركة أشخاص.. إلى انسجام وتوافق مع كل المخلوقات وكل الخليقة وذلك بالمحبة التي تنبُع من الثالوث القدوس وتنسكب في قلوبنا. فالمسيحي الذي يؤمن بعقيدة الثالوث والذي جُعِل على صورة "الثالوث"، لا يستطيع تحقيق "المثال" الإلهي ما لم يحيا فى المحبة مع الآخرين.

وبالتأكيد سلوك الذي يعتقد بحقيقة الثالوث، يختلف عن سلوك الإنسان الذي يرى أنَّ "الإنسان ذئبٌ لأخيه الإنسان" - كما قال الفيلسوف توماس هوبز - بل بإيماننا بعقيدة الثالوث يُمكننا أنْ نقول مع الشاعر الفرنسي "آرثر رامبو" إنَّ "**الآخرين هم أنا**"، بل وأكثر من هذا يقول **كليمندُس الإسكندري**: [**عندما تُبصر أخاك تُبصر الله**]. لأنَّ كل شخص فى الأسرة البشرية هو أيقونة لله، وبالتالي فعندما نرى الآخر فنحن نرى الله أيضًا، واحترام الآخر هو احترام لله أيضًا.

إيماننا بالثالوث يطبع في قلوبنا التساوي بين الناس، فلا نخضع لتصنيفات بين البشر، بل ينهمر من ثالوث الحب: حب يغمر أرض كل إنسان أيًّا كان، إذ يبقى الحب الذي بلا شروط أو قيود أجمل أيقونة للتعبير عن "الله الحبُّ"، والشعاع الدافئ الصادر من ينبوع ثالوث المحبة هو الذي يُلهب القلوب بمحبة الفقير والمحتاج والغريب بل وحتى الأعداء (مت٥: ٤٤). هكذا نؤمن بثالوث الحب مصدر كل حب، فكلّ حب لا يكون مصدره الله ولا يتأصّل في قلبِ الله هو زيفٌ وخداع لأنه يطلب ما لنفسه وأمّا الحب فيطلب ما "للآخر".

- فالعجب لمن يؤمن بثالوث المحبة.. وهو غير قادر على محبة المختلف معه في الرأي!
- والعجب لمن يؤمن بثالوث الحق.. وكأنه امتلكَ كل الحق وحده!
- والعجب لمن يؤمنُ بالله الذي أخلى ذاته.. وهو يحتقر الأقل منه!
- والعجب لمن يؤمن بإعلان الثالوث في الكتاب.. ولا يحيا المكتوب!
- والعجب لمن يُسقِط فِكرَهُ على الله الثالوث.. وكأنَّ الله موجود ليؤيد فكره!
- والعجب لمن يُهمل سُلطان الحب.. ويسلك بحب السُلطان!
- والعجب لمن يحاول بناء الملكوت.. بسلوك هدم الآخر والتشهير به والتجريح فيه!

٣. أنْ أسلكَ بإنكار ذات:

إنَّ العلاقة داخل الثالوث هى علاقة "إنكار ذات"، فكل أقنوم يُقدِّم الأقنوم الآخر ويشهد له:

✠ **فالآب يشهد للابن: "وَالآبُ نَفْسُهُ الَّذِي أَرْسَلَنِي يَشْهَدُ لِي"** (يو٥:٣٧).

✠ **والابن يشهد للآب: "وَمَا رَآهُ وَسَمِعَهُ بِهِ يَشْهَدُ"** (يو٣:٣٢).

✠ **والروح القدس يشهد للابن: "وَمَتَى جَاءَ الْمُعَزِّي الَّذِي سَأُرْسِلُهُ أَنَا إِلَيْكُمْ مِنَ الآبِ، رُوحُ الْحَقِّ، الَّذِي مِنْ عِنْدِ الآبِ يَنْبَثِقُ، فَهُوَ يَشْهَدُ لِي"** (يو١٥:٢٦).

وبالتالي إيماننا بالثالوث يجب أنْ يكونَ على مستوى إنكار الذات الذي نتعلّمه من الله الثالوث. وعمل الثالوث داخلنا يهبنا هذا الحب الذي يحّول قلوبنا من الفردية القائمة على الأنانية إلى التمتع بروح الحب والشركة والإتضاع، ففي سر الزيجة مثلًا لا يُمكن تحقيق قول الكتاب **"وَيَكُونُ الاثْنَانِ جَسَدًا وَاحِدًا"** (أف٥:٣١) إلّا بإنكار كل واحد لذاته لكى يظهر الآخر.

إنَّ كل علاقة مع الآخر بعيدة عن تأثير الحياة الإلهية فيها هي علاقة تُغلّفها الذات والأنانية، وتهبط بالإنسان إلى أسفل، ويُراد بها الحصول على منفعة أو لذَّة أو كل ما هو تافه وحقير.. بينما حياتنا التي مصدرها الثالوث لا يوجد فيها صعوبة لإنكار الذات أو معاناة في تفضيل الآخر على المصلحة الشخصية، لأنها فضائل سامية نابعة من حياة الثالوث فينا.

إنَّ الذي لا يُنكر ذاته يعبُدها، وبالتالي لا يُصبح في عقله وقلبه مكانٌ لله وللآخر، لأنَّ ذاته المنتفخة تحجب قبول الآخر عن صاحبها، وترفض تبعيته لله الذي بذلَ ذاته عن كل العالم.

إنَّ المسيحيّة غيّرت مفهومَ العلاقة لدى كثيرين، فلم تعُد قائمةً على المنفعة الشخصيّة، بل الإحسان المُطلَق الَّذي يُعطي بلا مقابل، إنَّه عطاء من أجل المسيح الَّذي أحبَّنا وأعطانا ذاته ذبيحة مُقدَّسة، هذا الحب والبذل الذي هتفَ به بولس: **"كُنْتُ أَوَدُّ لَوْ أَكُونُ أَنَا نَفْسِي مَحْرُوماً مِنَ الْمَسِيحِ لأَجْلِ إِخْوَتِي أَنْسِبَائِي حَسَبَ الْجَسَدِ"** (رو٩:٣).

إنَّ إنكار المرء لنفسه هو الرجوع عن صنمية التمركز حول الذات، ليتأكد وجودنا وكياننا في شركة حية مع الله الثالوث القدوس، إذ نتخلَّى عن كل ما يتنافَى مع هذه الشركة المقدسة لنسلك في تبعيَّة الله دون عائق. فعند الإنسان البعيد عن الشركة سنجد أنَّ سلوكه نابعٌ من ذاته، من شخصيته، وحسب تدبيره الخاص، أمّا نحن المؤمنين بالثالوث والذين نحيا في شركة حيَّة معه فنسلك حسب شركتنا مع الثالوث القدوس، في الكنيسة كأعضاء تحت الرأس الواحد.

وهكذا.. يكون الثالوث ليس شرحًا فلسفيًا أو تعليمًا للأذكياء، بل حياة تُعطَى للناس جميعًا، تؤثر في سلوكنا حتى إنَّ حياتي تكون مختلفة بإيماني بالثالوث!

وبالإجمال إيمانُنا بالثالوث يجعلنا نحيا كأولاد الله على صورته ومثاله، في: الوحدة والحب والبذل.

تاريخ الكنيسة ما قبل مجمع نيقية ٣٢٥م

الحلقة الخامسة

دكتور/ سينوت دلوار شنودة

الكنيسة المسيحية قبل مجمع نيقية:

تزامن وجود المسيحية مع الإمبراطورية الرومانية التي بدت وأنها تحكم معظم أجزاء العالم القديم مع نهاية القرن الأول قبل الميلاد، وما أن نشأت الكنيسة المسيحية حتى أعتبر الأباطرة الرومانيون أن المسيحيين هم أعداء للدولة وبداية من حكم نيرون (٥٤ -٦٨م) تتابعت عشر عصور وحشية من الاضطهادات المتوالية[١] أنتجت طابور طويل من الشهداء الذين سُفك دمهم من أجل محبتهم في الملك المسيح، فقد كان مجرد الاسم "مسيحيّ"، يتبعه مصادرة الممتلكات، عذابات مروعة، استشهاد. حتى سُمعت صوت صرخات من المسيحيين تقول: "يا ربّ أعطنا سلامًا". قد تدل هذه الصرخات على هذا التعب الذي طالت مدته واشتدت قسوته من ثقل الاضطهادات المتوالية، ولكن رغم كل هذه الاضطهادات فأن ذلك لم يؤد في نهاية الأمر سوى إلى تمسك المسيحيين أكثر فأكثر بإيمانهم ومعلمهم، وإلى مزيد من انتشار المسيحية وتعاليمها السمائية، وغالبا ما كان الاضطهاد سببًا لذلك الانتشار الواسع في كل أقاليم الدولة الرومانية وحتى خارجها، أي في بلاد فارس وأرمينيا، وفي الجزيرة العربية وغيرها من البلاد[٢].

على أن عنفوان هذه الاضطهادات المتوالية بلغ مداه مع تبوء ديوكليسيانوس أو دقلديانوس (٢٨٤ – ٣٠٥م)حينما تسلم زمام حكم الدولة الرومانية عام ٢٨٤م، وبدأ حكمه بإصلاحات إدارية فائقة لمدة ثمانية عشر عامًا من بداية حكمه[٣]، وذلك بأن قسم الدولة الرومانية إلى قسمين هما الإمبراطورية

---

[١] المتنيح الأنبا يؤانس أسقف الغربية "الاستشهاد في المسيحية"، الأنبا رويس بالعباسية، الطبعة الرابعة، ١٩٩١م، ص ٧٦

[٢] الأب ميشال أبرص، الأب أنطوان عرب "المجمع المسكوني الأول – نيقيا الأول ٣٢٥"، المكتبة البولسية، بيروت، لبنان، ١٩٩٧م، ص ٤٠

[٣] د. رأفت عبد الحميد "الدولة والكنيسة الجزء الأول قسطنطين"، مكتبة الأسرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠١٨م، ص ٥٠

الشرقية والإمبراطورية الغربية، ووضع لكل قسم إمبراطورًا وقيصرًا يساعده في إدارة الدولة، ويحل محله عند الوفاة أو الاعتزال أو العجز، وأصبح هو إمبراطورًا للشرق يساعده ليكينوس (٢٨٠ – ٣١١م)، وأبن أخته جاليريوس (٣٠٥ – ٣١١م) وإتخذ عاصمته نيقوميديا، كما أصبح مكسميانوس (٢٨٦ – ٣١٠م) إمبراطورًا للغرب يساعده القيصر كونستانس كلور أو قنسطنطيوس (٣٠٥ – ٣٠٦م)[٤] وهو والد قسطنطين الكبير، وقد بدأ ديوكليسيانوس حكمه مسالمًا للمسيحيين ويحترم مرسوم التسامح الذي كان قد أصدره سلفه غاللينوس، وكان معظم خصيانه وضباط قصره من المسيحيين[٥]، ولكنه تحول فجأة في بداية القرن الرابع متراجعا عن سياسة التسامح إلى النقيض منها تماما، وفي ٢٤ فبراير ٣٠٣م عقد جاليريوس مجلسًا عسكريًا في نيقوميديا حكم باعتبار المسيحيين من أعداء الدولة، وأنهم سبب لكل الشرور التي حاقت بالإمبراطورية وأستطاع أن يحصل على توقيع منشور من الإمبراطور ديوكليسيانوس بمنع العبادة المسيحية، وتدمير الكنائس، وحرق الكتب المسيحية المقدسة، وطرد المسيحيين ذوي المناصب من مراكزهم[٦]، وفي مارس من عام ٣٠٣م أصدر ديوكليسيانوس منشورين متلاحقين، يقضي أولهما بسجن جميع رؤساء الكنائس[٧]، أما المنشور الثاني فيأمر بتعذيبهم ليضطروا إلى جحد الإيمان[٨]، ثم أصدر أمرًا جديدًا في ٣٠ أبريل من العام ٣٠٤م بإرغام جميع المسيحيين دون استثناء بأن يذبحوا للأوثان ويقدموا لها سكائب[٩] وإلا عوقبوا بأشد أنواع العقاب.

في عام ٣٠٥م أستقال أو تقاعد كل من إمبراطور الشرق ديوكليسيانوس وإمبراطور الغرب مكسميانوس، وأستفرد جاليريوس بالحكم في الشرق وكونستانس في الغرب، وتوفي بعدها بعام واحد كونستانس كلور وخلفه أبنه قسطنطين إمبراطورًا على الغرب في بريطانيا وإسبانيا وبلاد الغال، وعادت شهوة الحكم لمكسميانوس فنصب نفسه إمبراطورًا من جديد، وبقى جاليريوس في منصبه في الشرق

---

[٤] الأب ميشال أبرص، الأب أنطوان عرب "المجمع المسكوني الأول"، مرجع سابق ص ٤١

[٥] المتنيح الأنبا يؤانس أسقف الغربية "الاستشهاد في المسيحية"، مرجع سابق، ص ٩٦

[٦] الأب ميشال أبرص، الأب أنطوان عرب "المجمع المسكوني الأول"، مرجع سابق، ص ٤١

[٧] يوسابيوس القيصري "تاريخ الكنيسة"، تعريب القمص مرقس داود، مكتبة المحبة، القاهرة، ١٩٧٩م، ص ٤٠٣

[٨] المتنيح الأنبا يؤانس أسقف الغربية "الاستشهاد في المسيحية"، مرجع سابق، ص ٩٨

[٩] يوسابيوس القيصري "تاريخ الكنيسة"، مرجع سابق، ص ٤٢٨

يبطش بالمسيحيين خصوصا في مصر وسوريا وأورشليم، وأصيب في بداية عام ٣١١م بمرض خبيث وفي آخر شهر أبريل ٣١١م وقبل وفاته بستة أيام أصدر مرسومه الشهير من مدينة سرديقيا بنيقوميديا مع شركائه في الحكم ليكينوس وقسطنطين ومكسيمينوس دايا (الذي رفض التوقيع على هذا المرسوم[١٠]) وفيه وجه اللوم للمسيحين لخروجهم عن عبادة أجدادهم، ويحضهم للعودة إلى الأوثان والتقاليد المتوارثة منذ القدم، ولكنه أعترف في نفس الوقت بثبات المؤمنين المسيحين في النضال والجهاد في سبيل إيمانهم، وأوصى باستخدام الرأفة والرحمة تجاه الجميع فيما يعد اعترافًا بالوجود الشرعي للديانة المسيحية، وبعد وفاة جاليريوس في ٥ مايو ٣١١م أنفرد مكسيمينوس دايا (٣٠٨ - ٣١٣م) وعاد إلى اضطهاد المسيحيين، ونشر كتابات ضد المسيح وأتباعه، واستمر في قتل المسيحيين وطردهم من المدن الوثنية حتى أنذره قسطنطين في عام ٣١٢م بعد إيمانه بالمسيح أن يكف عن اضطهاد المسيحيين، وفي أوائل عام ٣١٣م أنتصر قسطنطين على غريمه مكسيمينوس دايا في موقعة تزيرالوم بالقرب من ادريانوبوليس وأنفرد قسطنطين بحكم الغرب، ثم أجتمع الإمبراطور قسطنطين مع الإمبراطور ليكينيوس في ميلانو بإيطاليا، وقررا معا اتخاذ موقف متسامح تجاه المسيحية طالما لا تشكل خطرًا على الدولة، ونتيجة لهذا الاجتماع صُدر مرسوم ميلانو الشهير الذي سمح بالحرية الدينية لجميع مواطني الإمبراطورية فيما عُف بمرسوم التسامح الديني[١١].

نعمت الكنيسة لفترة قصيرة بالسلام والطمأنينة حيث تم إعادة بناء الكنائس ورد كل ما سُلب أو أخذ عنوة من المسيحيين إليهم، ولكن ما لبث أن عاد ليكينوس إلى سابق عهده فأضطهد المسيحيين من جديد في الشرق، وعاد إلى سياسة الاضطهاد والعنف، فحاربه قسطنطين وانتصر عليه في شهر أغسطس ٣٢٤م أمام مدينة أدريانوبوليس، وأصبح قسطنطين الإمبراطور المتسلط على شرق وغرب الإمبراطورية مترامية الأطراف، واتسمت علاقته بالكنيسة المسيحية بالمحبة والسلام، وانتهى الأمر قبيل اجتماع مجمع نيقية باعتبار الديانة المسيحية هي ديانة مسموح بها في الدولة الرومانية[١٢]، وهو ما سمح له بطلب انعقاد مجمع نيقية كأول مجمع مسكوني في الكنيسة المسيحية .

---

[١٠] المتنيح الأنبا يؤانس أسقف الغربية "الاستشهاد في المسيحية"، مرجع سابق، ص ١٠١

[١١] الأب ميشال أبرص، الأب أنطوان عرب "المجمع المسكوني الأول"، مرجع سابق، ص ٤٤

[١٢] نفس المرجع السابق

اللاهوت ومدارس تفسيره

الأستاذة/ نادية منير

في بعض الأوقات - وقد تكون منها هذه الأيام – نعيش إحساس بولس الرسول الذي ذَكَرَهُ في رسالته الثانية إلى أهل كو رنثوس عندما كانَ في مكدونية: **"من خارج خصومات.. من داخل مخاوف.."** (٢كو ٧:٥) نعيش هذا الإحساس ونشعر به عندما تُحاصرنا من خارج اتهامات وهجوم المختلفين عنّا على عقائدنا وإيماننا، ومن داخل انقسامات واتهامات مُتبادَلة بالبِدَع والانحراف عن الإيمان.. وكل الأطراف تدَّعى أنها وحدها من تملك الحق المُطلَق.

وهنا لا بُدَّ من الخضوع برؤوسنا أمام وفي حضرة الحق المُطلَق وحده يسوع المسيح لكي يفتح أذهاننا وينير عيوننا كما فعل مع تلاميذه وتلميذي عمواس لنؤمن ونفهم ما كُتِبَ عنه في جميع الكتب المقدسة عن لاهوته ووحدته مع الآب والروح القدس في الجوهر، وعن فدائه وقيامته.

معنى كلمة اللاهوت:

بدايةً لا بُدَّ من التمييز بين كلمة اللاهوت وبين تفسير وشرح اللاهوت أو التعليم اللاهوتي؛ لأنَّ اللاهوت واحد عند المسيحيين الحقيقيين الذين يؤمنون بالكتاب المقدس بعهدَيه القديم والجديد.

لأنَّ اللاهوت هو ما أعلنه الله لنا عن ذاته وهويته وطبيعته وليس استنتاجًا أو اختراعًا قامَ به بولس الرسول - كما يقول البعض - أمّا تفسير وشرح اللاهوت أو التعليم اللاهوتي فهو الذي يأخذ مناحٍ مختلفة يُطلَق عليها أسماء مدارس مختلفة قد يتفق عليها ومعها البعض، وقد يختلف عليها ومعها البعض الآخر.. وهذا ما يُسبِّب الخلافات والانقسامات عندما نخلط بين اللاهوت وبين كيفية شرحه أو تفسيره واعتبارهما شيئًا واحدًا. وكما يقول أبونا متى المسكين: "إنَّ سببَ عدم وحدة الكنيسة لا يكمُن في المصطلحات اللاهوتية وإنما يكمن في التفسير الخاطئ من قِبَلِ الإنسان".

فاللاهوت عند المسيحيين المؤمنين بكلمة الله لا يُختَلَف عليه، وهو الإله الواحد المُثلَّث الأقانيم (الآب والابن والروح القدس)، الآب خالق الكل الكائن منذ الأزل، والابن الله الكلمة الأزلي الذي تجسَّدَ وصُلِبَ وقامَ، والروح القدس المُنبَثِق من الآب.

فعندما نقول تطوُّر العقيدة أو اللاهوت بقلم بولس الرسول وتعاليمه، أو في مجمع نيقية عام

٣٢٥م، فهذا القول يُجانبه الصواب؛ لأنَّ اللاهوت والعقيدة مُعلَنَة في كلمة الله من بداية سفر التكوين وحتى نهاية سفر الرؤيا.

وإنما التطوُّر الذي حَدَثَ كان في شرح وفهم اللاهوت من خلال رسائل بولس الرسول، وصياغة الإيمان في عبارات قانونية تضمن سلامتها ودقتها في قانون الإيمان في مجمع نيقية.

مدارس شرح اللاهوت:

تتمثل أبرز الاختلافات في مدارس شرح اللاهوت في أولوية الاعتماد في الشرح على الإيمان أم على المنطق والاستدلال العقلي. وقد ظهرَ هذا الاختلاف واضحًا بين المدرسة الغربية الكاثوليكية وأبرز مفسريها كان توما الأكويني الذي استخدم المنهج الفلسفي الأرُسطي (العقلي) في شرح اللاهوت، وبين المدرسة الأرثوذكسية الشرقية القبطية التي تعتمد على الإيمان أولًا ثم شرح وتفسير وترجمة النص الكتابي المقدس.

باختصار يمكن عرض حجج كل مدرسة لا لتغليب إحداهما عن الأخرى، بل للاستفادة من كل منهما دون انحراف للشرح والتفسير اللاهوتي.

أولاً: مدرسة الاستدلال المنطقي: وهي قريبة الشَبَه بعِلم الدفاعيات، وتعتمد هذه المدرسة على استخدام العقل في فهم وشرح اللاهوت، وتستند على آياتٍ كثيرةٍ تحمل ترجمتها فى اللغة اليونانية الحَثَّ على استخدام المنطق مثل: **"بل قدسوا الربَّ في قلوبكم، مستعدين دائمًا لمجاوبة كل مَن يسألكم عن سبب الرجاء الذي فيكم بوداعة وخوف"** (بط ١٥:٣).

فمعنى كلمة مجاوبة في اللغة اليونانية تأتي مُرادِفةً لكلمة دفاع، وهي تُعني المنطق، وقد استخدمها الرب يسوع في متى ٣٧:٢٢ عندما أجاب الناموسي الذي سأله ليجربه: **"أيَّة وصية هي العظمى في الناموس؟ فقال له: تحب الرب إلهك من كل قلبك ومن كل نفسك ومن كل فكرك" !!**

وهذا التفكير له خصائصه وقواعده التي تضبطه وتمنع انحرافه حسب التفكير الشخصي لكل إنسان، **ومن أهم هذه القواعد:** قانون عدم التناقض في الفرضيّات أو المغالطات، ولا يجب وضع الحقائق في منطقة رمادية، وضرورة وجود السبب الكافي لكل ظاهرة لتفسيرها والوصول بها إلى نتيجة معينة. **"إنْ تعقَّلتَ اكتسبتَ فطنةً، وإنْ استمعت بمحبةٍ حصلتَ على العلم"** (يشوع بن سيراخ ٣٣،٣٢:٦).

كذلك جاءت كلمة **"عالِمين"** في رسالة بولس إلى رومية٩:٦ **"عالمين أنَّ المسيحَ بعدما أُقيمَ من**

الأموات لا يموت أيضًا" تعنى المعرفة العقلية eidotes hoti وهي متبوعة بكلمة hoti ويقصد بها البيان الإيضاحي أو البرهان وجاءت ٣٠٠ مرة في العهد الجديد(*).

ثانياً: مدرسة بالإيمان نَفهَم:

تعتمد هذه المدرسة على مبدأ أنَّ الكيانات الروحية لا تحدُّها الكلمات المادية، وكان القديس أغسطينوس رغم أنه فيلسوف كبير ممن وضعوا الإيمان في المرتبة الأولى قبل العقل حسب مقولته الشهيرة : "أؤمن لكي أتعقَّل" ورغم أنَّ توما الأكويني كان من أنصار استخدام العقل لمعرفة الحق إلّا أنه أقَرَّ بأنه لو عوَّلَ الإنسانُ على العقل فقط دون الإيمان فإنَّ هناك عوائق تَحُول دون معرفة العقل بالله ، فالعقل بمفرده لا يستطيع أنْ يبلغ كل الحقائق المتعلقة بمعرفة الله.

فرفض السيد المسيح لا ينبُع من العقل بل من الإرادة، وقد عبَّرَ يشوع بن سيراخ عن ذلك قائلًا: **"لا تطلب ما يصعب عليك فهمه، وعمّا يتجاوز قدرتك لا تبحث"** (سي ٣:٢١-٢٤).

فهناك من الأمور اللاهوتية ما لم يُعلِن عنها الكتاب المقدس؛ لأنْ ليس كل ما نعرفه يمكننا فهمه، وليس كل ما نفهمه يمكننا تخيُّله.

الخُلاصة:

بعد أنْ عرضنا أهم مدرستَين للتفسير اللاهوتي، وحجج كل منهما في الاعتماد على المنطق (العقل) أو الإيمان في شرح اللاهوت المُعلَن في الكتاب المقدس، يتضح أنَّ كلَيهما لا يُنكر أهمية كل من الإيمان والمنطق وإنما الاختلاف في أولوية أي منهما.

وإذا نظرنا إلى واقع الحياة نجد هذا الاختلاف فى الاولوية موجودًا في الشخصيات الواقعية المختلفة في حياتنا، وأيضًا في الشخصيات التي جاءت في الكتاب المقدس وتعامل معها السيد المسيح والرسل.

كما أنَّ هذا الاختلاف قد يظهر في حياة الشخص الواحد في مراحل عمره المختلفة وكذلك مراحل نموه الروحي وعلاقته مع الله (فترة يعتمد على الإيمان، وأخرى على العقل أو كليهما)، فالسيد المسيح تعامل مع كل إنسان حسب احتياجه وحسب شخصيته، فمَعَ المولود أعمى اكتفى بإعلان نفسه كابن

---

* كتاب: "السر رسالة رومية" فيليب، مراجعة الأنبا أنجيلوس الأسقف العام لكنائس شبرا الشمالية.

الله، وكان هذا الإعلانُ كافيًا للأعمى ليتبع السيد المسيح بالإيمان، ومع تلميذي عمواس فتحَ ذهنهما ليفهما الكتب ويؤمنا بالمسيح كما جاء عنه في كتب موسى والأنبياء والمزامير (لو ٢٤:٢٧). كان يسوع يشرح لمن يريد أنْ يفهم الولادة الثانية بالمعمودية كما فعل مع نيقوديموس، وكان يشرح أهمية العبادة بالروح والحق دون اشتراط مكان الهيكل أو الجبل مثل ما فعلَ مع السامرية، وكان يشرح ضرورة موته وقيامته لتكميل الخلاص كما فعل مع تلاميذه رغم إيمانهم ورؤيتهم لكل معجزاته وآياته.

نجد أيضًا ق. بولس الرسول في تعليمه لأهلِ أثينا يَستخدِمُ الشِعرَ والفلسفة التي يُغرَم بها اليونانيون ليعرفوا الإله الحقيقي يسوع المسيح، ومع أهل أفسس في (أع ١٩:٨-١٠) استمر لمدة ثلاثة أشهر يُجادل الحاضرين ويحاول إقناعهم في المجمع واستمر هكذا لمدة سنتَين.

أمّا مع حارس السجن في فيلبي أع ١٦:٢٩ فكانت محبة بولس وسيلا له وخوفهما على حياته ومنعه من الانتحار هي السبب الرئيسي لإيمانه، ثم جاء بعد ذلك شرحُ الإيمان له.

كذلك جاءَ عن أبولُّس أنه كان عونًا كبيرًا للمؤمنين في أخائية لأنه كان بقوة حُجَجِه يُسكِت اليهود علانيةً ويُبين لهم من الكتب المقدسة أنَّ يسوع هو المسيح (أع ١٨:٢٨).

فشرح الإيمان باستخدام العقل لا يُعني الفلسفة، واستخدام العقل ليس لإثبات الإيمان بل لشرح وإيضاح ما فيه، أمّا في الفلسفة فالمصدر الوحيد للحقيقة هو العقل، وهذا قريب الشَبَه بالغنوسية التي تُقدِّس المعرفة وحدها.

فمَن يعترض على مدرسة التفكير المنطقي بحُجَّةِ أنه لا يُمكن اخضاع الله للمنطق (وهذا ما ينكره أصحاب هذه المدرسة) يمكن الرد عليهم بأنَّ المنطق هو أداة للتفكير السليم، والغرض ليس إخضاع الله للتفكير المنطقي، بل إخضاع تفكيرنا نحن عن الله لأدوات التفكير المنطقي، ووضع قواعد لضبط هذا التفكير لضمان عدم انحرافه.

وهذا ما قامَ به بعضُ آباء الكنيسة مثل ق. كيرلس الإسكندري في شرح اتحاد اللاهوت بالناسوت في شخص السيد يسوع المسيح، عندما ردَّ على نسطور الذي أنكرَ أنَّ السيدة العذراء والدة الإله وإنما هي والدة المسيح الإنسان فقط، فأجابه ق. كيرلس قائلًا: [إنه إنْ لم يكن الله الكلمة أخذَ جسدًا حقيقيًا لَما ماتَ عن البشر، ولَما كانت قيامته قيامةً حقيقية، وبالتالي لم تكن هناك إدانة وإبطال لحكم الناموس على الخطية في جسد الإنسان، وبذلك يبطل تدبير الله لخلاص الإنسان بسر التجسد الإلهي].

وهنا تأتي ضرورة التمييز والتفرقة بين التفكير المنطقي Reasonable، والتفكير العقلاني

Rationalism والذي يعنى اخضاع كل شيء حتى معرفة الله تحت العقل، ورفضُ كل ما لا يخضع للتفسير العقلي.

فالحق لا يستنتجه العقل، وإنما يُعلنه الكتاب المقدس، ونفهمه ونقبله ونكتشف أسراره بالروح القدس الذي يُنير العقل لفهمه. (رو ١:١٩، ٢٠).

الإيمان ليس ضد المعرفة، والإيمان ليس ضد المنطق، والإيمان ليس عكس أو ضد الدليل، فقد تتبع لوقا بتدقيق أحداث وحياة السيد المسيح ليقدم إيمانًا حقيقيًا ثابتًا. وبطرس الرسول طلب دليلًا على أنَّ المسيح هو ابن الله بمَشيهِ على الماء وحقَّقَ له السيد المسيح طلبه.

استخدام العقل ليس ضد بساطة الإيمان، وإنما هو هبةٌ من الله، إذا خضعت وطلبت استنارة الروح القدس كانت قوة فعالة مؤثرة لحفظ الإيمان وتثبيته عند الكثيرين الذين افتقروا إلى البساطة ولم يحظوا بها **"وهذا أُصلّيه: أنْ تزداد محبتكم أيضًا أكثرَفأكثرَفي المعرفة وفي كل فهم"** (في ١:٩).

المسيحية هي شخص يسوع المسيح الذي يُقبَل بثقة..

وهي فكر ومعرفة للحق تُعتَنَق..

وسلوك للحياة حسب شخص المسيح وتعاليمه وفى رضاه.

فمنذ خلقَ الله العالم وصفات الله الخفيَّة أي قدرته الأزلية وألوهيته واضحة جليَّة تُدركها العقول في مخلوقاته، فلا عُذرَ لهم (رو ا:١٩، ٢٠).

❋❋❋❋❋❋❋❋

كلمات روحية لبناء النفس (٢٧)

+ الرب يسوع دشَّن العلاقة الجديدة مع الإنسان بدمه.

+ جذوة الإيمان تضطرم في القلوب الأمينة نارًا ملتهبة.

+ ظهورات القديسين في عالمنا، هو حق أبدي مرئي يستعلن به الله حقيقة العالم الروحي غير المنظور.

+ التوبة الجادة هي مدخل الباب الذي يقود إلى حياة روحية حقيقية مع الله.

+ النفس غير الثابتة في المسيح لن تصمد طويلاً أما تيارات العالم العنيفة الجارفة.

+ أمور الملكوت للإنسان الروحي لها جاذبية شديدة تستهويه وتشد ذهنه وقلبه إلى فوق.

العلاقة التدبيريَّة بين أقنومَي الآبِ والابنِ في سِفرِ أعمالِ الرُّسُل - دراسةْ آبائية

(الجزء الثالث)

الشماس الإكليريكي/ مينا ملاك

نستكمل بنعمة المسيح الجزء الثالث لتفسير بعض الآباء على مُقتطفاتٍ من عظةِ معلمنا بطرس الرسول في سفر أعمال الرسل الإصحاح الثاني والثالث:

ثانيًا: القديس باسيليوس الكبير:

تصدَّى القديس باسيليوس لتعليم أُفنوميوس الذي يُعَدُّ تابعًا لأريوس بشكلٍ أكثر تطرُّفًا، وقامَ ق. باسيليوس بشرحِ الآية (أع٢: ٣٦) بنفس فكر الآباء، مع شرحِ العلاقة التدبيرية ومفهوم الإخلاء للابن ويقول:

[بالقَطعِ هو لا يتكلَّم عن جوهرِ الله الكلمة ذاته، والذي هو مُنذُ البدءِ كائنٌ مع الله الآب، بل عن **الإخلاء**، وأخذِ صورةِ عبد، والتنازل والاشتراك في الطبيعة الإنسانية المتواضعة.. وهذا الأمرُ معروفٌ لكل مَن فَحَصَ القَصدَ من وراءِ العبارة الرسولية، حتى ولو بشكلٍ مختصَر وبسيط، وأنه لا يتناوَل المنهج، بل إنه يُعلِنُ أو يكشفُ عن أسباب **خطة التدبير الإلهي للخلاص**].[1]

ويؤكد ق. باسيليوس على أنَّ اسم الإشارة هذا يعود على ناسوت المسيح (الجانب الإنساني)، فيقول:

[يقول: «**اللَّهَ جَعَلَ يَسُوعَ هذا، الذي صَلَبْتُمُوهُ أَنْتُمْ رَبًّا وَمَسِيحًا**». وباستخدام اسم الإشارة «**هذا**»، صار من الواضح للجميع، أنه يُشير إلى الجانب الإنساني والمرئي منه (أي من يسوع). وبينما هذا، «أي أُفنوميوس»، قد حوَّلَ كلمةَ «**جَعَلَ**» إلى بدايةِ ولادة الابن الوحيد. ولم يُزعجه ولا حتى إنَّ

---

[1]. القديس باسيليوس الكبير، ضد *أفنوميوس*، ترجمة د. سعيد حكيم (القاهرة، مؤسسة القديس أنطونيوس المركز الأرثوذكسي للدراسات الآبائية، ٢٠٢٠) المقالة الثانية-٣، ص ١١٩.

اسم «رَبّ»، لا يُعلن عن الجوهر بل عن السُلطة. فذاك «**جَعَلَه رَبًّا وَمَسيحًا**»، يقصد السلطة والسيادة على كل شيء، والتي أُعطيَت له من قِبَلِ الآب، ولم يُشِر إلى كيفية مجيئه إلى الوجود].[٢]

ثالثًا: القديس غريغوريوس النيسي:

يؤكد نفس المفهوم للآية وينسب كلمة «**جَعَلَ**» إلى الناسوت، فيقول:

[ليس صحيحًا أنْ تُشير كلمة «**جَعَلَ**» إلي الطبيعة الإلهية، إنما تشير إلى شكل العبد (في٢: ٧) الذي وُجد خلال التجسد، في الوقت المناسب لظهوره في الجسد].[٣]

رابعًا: القديس كيرلس الكبير:

أوضح ق. كيرلس أنَّ فِعلَ «**جَعَلَ**» لا تَخُصّ جوهر الكلمة الأقنوم الثاني للثالوث قبل تأنُّسِه بل تخُصُّ ناسوته، وبحسب تعبير ق. كيرلس تَخُصُّ «الهيكل الذي صار من مريم»، فيقول:

[ينبغي علينا أيضًا ألّا ننسب تعبير «**جَعَلَ**» إلى جوهر الكلمة، ولا إلى طريقة وجود الابن، بل ينصرف تعبير «**جَعَلَ**» بطريقة طبيعية وفَهمٍ جيدٍ إلى الهيكل الذي صارَ من مريم].[٤]

و يعطي لنا ق. كيرلس مثالًا توضحيًا:

[فَلَو فهمنا هذا التعبير جيدًا، لأدركنا أنَّه لا يؤثر على الكلمة، وذلك مثلما لو قُلنا عن شخص إنه كان فقيرًا قبلَ ذلك ثم صارَ مالكًا لأموال، أو عن شخصٍ لم يكن من البداية نبيًا، ثم مُسِحَ ليكون نبيًا، ففي هذه الأمثلة لا يعني تعبير "**صَارَ**" بدايةَ وجوده، لكنها تدُل على الانتقال من حالة إلى أخرى].[٥]

هكذا نرى هنا طريقة انتقال حالة ذات خاصية كيانية إلى حالةٍ أخرى في شخص واحد. لذا يتساءل القديس كيرلس كيفَ أنَّ الله جعلَ يسوعَ ربًّا ومسيحًا؟ يجيب هو نفسه شارحًا لنا حركةَ **الإخلاء**: [فالكلمة بينما هو إلهٌ وربٌّ أخلى ذاته بتأنُّسِه إذْ أخذَ شكلَ العبدِ ومُسِحَ لأنَّ هذا الأمرُ يتناسب مع

---

[٢]. مرجع سابق، ١١٩- ١٢٠.

[٣]. القمص تادرس يعقوب ملطي، *تفسير رسالة بولس الرسول الأولى إلى أهل كورنثوس* (الإسكندرية: كنيسة مار جرجس بإسبورتنج،٢٠٠١)، ١٤٤.

[٤]. القديس كيرلس الإسكندري، *الكنوز في الثالوث*، ترجمة د. جورج عوض (القاهرة، مؤسسة القديس أنطونيوس، المركز الأرثوذكسي للدراسات الآبائية،٢٠١١) المقال ٢١، ص ٣٣٥.

[٥]. مرجع سابق، ٣٣٥.

الإنسان، وصعِدَ إلى سُلطةِ الربوبية كإنسان]. ويشرح تبادُل الخواصّ في شخص المسيح الواحد فيقول:

[كيف جعلَ اللهُ يسوعَ ربًّا و مسيحًا؟

بينما كان الكلمةُ إلهًا وربًّا للكل، أخذ شكل العبد بتأنُّسِه ومُسِحَ؛ لأنَّ هذا يتناسب - بالتأكيد - مع الإنسان. كذلك أيضًا صَعِدَ إلى سُلطةِ الربوبية كإنسان، بالرغم من أنه كإلهٍ هو الرب. لأنَّ كلمة الله لم يأتِ ليطمُسَ طبيعة الله الحُرَّة تحتَ شكلِ العبد، ولا لكي يترك ما هو موجود ومُحَدَّد في خصائص الطبيعة البشرية، بل لكي يرفع هذا الذي كان مُستعبدًا إلى مكانة الرب الشرفيَّة، ويُحضِر ثانيةً هذا الذي كان مُهانًا إلى كرامته].[٦]

وهنا يقول ق. كيرلس ملاحظته الدقيقة موضحًا أنَّ القديس بطرس لم يقل هكذا بلا هدف **"إنَّ الله جعلَ يسوعَ ربًّا"**، بل أضاف **"يسوع هذا الذي صلبتموه"**، بالتالي لم يقُل إنه جعلَ لذاته الكلمة والابن، بل جعله ربًّا ومسيحًا، الأمرُ الذي لا يعني بداية وجوده بل انتقاله من أمرٍ إلى آخر. فيقول:

[إذن، فقد صارَ ربًّا ومسيحًا حتى بعدما صارَ إنسانًا، ولأنه صارَ عبدًا دُعيَ يسوع؛ لأنَّ التلميذ القديس لم يقُل إنَّ اللهَ جعلَ المسيحَ ربًّا بلا هدف، بل أضاف **"يسوع هذا الذي صلبتموه..."**؛ لأنه لم يقُل "جعله كلمةً وابنًا له، بل جعله ربًّا ومسيحًا"، الأمرُ الذي لا يخُصّ بداية وجوده، لكن انتقاله من أمرٍ إلى آخر].[٧]

ويؤكد ق. كيرلس على أنَّ كلمة «**جَعَلَ**» تؤخذ بمعنى أظهرَ أو برهنَ، فيقول:

[لكنْ يجب أنْ نأخذ كلمة «**جَعَلَ**» بمعنى «**أظهرَ**» أو «**بَرهَنَ**» ... فقد بَرهَنَ (المسيح) بأعماله على أنَّ هذا هو المسيح، وأنَّ له ذاتَ مكانةِ الآب، وقد صارَ ربًّا ومسيحًا لأولئك الذين يؤمنون به ... فقد صارَ ربًّا لأجلنا نحن الذين عرفنا سيدنا عندما اشترانا بدمه، وبرهنَ لنا أنه المسيح والرب].[٨]

وأخيرًا، حتى لا يُعثرنا أحدٌ، يجب علينا معرفة **كيف أقرأ الكتاب المقدس آبائياً]**[٩]:

١- اقرأ الكتاب ككل لا يتجزَّأ.

٢- اقرأ الكتاب خريستولوجيًا.

٣- اقرأ الكتاب داخل الكنيسة جسد المسيح ومجتمع الشركة.

٤- اقرأ الكتاب ضمن حياة الصلاة والعبادة والمُمارسات الروحية.

لإلهنا كل البركة والمجد والحكمة والشكر والكرامة والقدرة والقوة إلى أبد الآبدين آمين.

---

[٦]. مرجع سابق، ٣٣٦.

[٧]. مرجع سابق، ٣٣٦.

[٨]. مرجع سابق، ٣٣٧.

[٩]. د. جورج عوض، *تفسير الكتاب المقدس عند الآباء*، ٢٠١٢، ص١٥٥.

المدارس التفسيرية المسيحية القديمة:
مُقارَنَة منهجية وتداعيات لاهوتية (١)
نشأة المدارس اللاهوتية ومناهج التفسير

الشماس الإكليريكي ميشيل عزت

منذُ أقدم العصور ارتبطت التجارب الدينية بالبحث عن المعنى العميق للنصوص المقدسة. فالإنسان بطبيعته لا يكتفي بمجرد الاستماع إلى الكلمات أو ترديدها، بل يسعى دومًا إلى النفاذ إلى جوهرها، وفهم رسالتها، وتطبيقها في حياته اليومية. ومن هنا نَشَأَت الحاجةُ إلى **التفسير** كظاهرة إنسانية شاملة عرفتها جميع الديانات عبر التاريخ. ففي التقاليد اليهودية مثلًا، وُضِعَ التلمود والميشنا بوصفهما شروحًا موسَّعةً للتوراة. وفي الديانة الإسلامية لاحقًا تبلوَرَت علوم التفسير والفقه والحديث لفهم القرآن الكريم والسنة النبوية. وكذلك الحال في البوذية والهندوسية وغيرها من الأديان الكبرى، حيث نجد محاولات حثيثة لتأويل النصوص الأصلية وربطها بالواقع الروحي والمعيشي للمؤمنين.

هذه الظاهرة تكشف أنَّ التفسير لم يكن مجرَّدَ مُمارَسَة فكرية، بل ضرورة حضارية ودينية، هدفها الأول **المواءمة بين النص والو اقع**، وضمان بقاء النص حيًا ومؤثرًا في حياة الإنسان. وقد حَمَل التفسيرُ دائمًا أبعادًا متعددة: **معرفية**؛ لأنه يوضح المعنى الصحيح، **عقائدية**؛ لأنه يحفظ نقاءَ الإيمان من التحريف، **وروحية**؛ لأنه يُرشد المؤمنين إلى كيفية عَيش رسالتهم الدينية في حياتهم العملية.

وفي المسيحية، اتخذت الحاجة إلى التفسير بُعدًا أكثر إلحاحًا، نظرًا لمركزية الكتاب المقدس في صياغة العقيدة والإيمان. فمنذُ القرن الأول الميلادي كان المؤمنون يواجهون تحدياتٍ تتعلَّق بفَهم النصوص: كيف يمكن استيعاب رسائل الإنجيل والرسائل الرسولية في بيئات ثقافية متباينة؟ وكيف يُقرأ النص في ضوءِ التُراث اليهودي من جهة، والفلسفة اليونانية من جهة أخرى؟ وكيف يُمكن أنْ يَبقَى التعليم المسيحي واحدًا رغم اختلاف اللُغات والأعراف والظروف السياسية؟

إنَّ فَهم أيِّ نصٍّ مقدَّس، ولا سيما الكتاب المقدس، لا يتم بمعزل عن منهجية واضحة ودقيقة، تهدف إلى استخلاص معانيه العميقة وتطبيقها على حياة المؤمنين. في القرون المسيحية الأولى، ومع

توسع الكنيسة وانتشارها في مراكز حضارية وثقافية متنوعة، نشأت مدارس فكرية لاهوتية في مدن كبرى مثل الإسكندرية وأنطاكية، شكّلت كل واحدة منها مركزًا محوريًا لتطوير منهج تفسيري متميز. لم تكن هذه المدارس مجرد مبانٍ أو مؤسساتٍ جامدة، بل كانت تجمُّعاتٍ حيويةٍ لأشخاص، حيث كان الأستاذ يأخذ تلاميذه في منزله، وتشكَّلَت حولَ هؤلاءِ الأساتذة المؤثرين تجمعاتٌ فكريةٌ متأثرةٌ بأسلوبهم ومنهجهم. لقد صاغت هذه المدارس الفكر اللاهوتي المسيحي وأسَّسَت لقواعد التفسير التي لا يزال صداها مسموعًا حتى اليوم.

كان الغرضُ الأساسي من هذه المدارس هو استيعابُ قصدِ الله من خلال كلماته واستقاء العقائد الصحيحة، وقد انطلق آباء الكنيسة الأوائل في ممارساتهم التفسيرية من مفاهيم متداخلة كالشرح، والتعبير، والكشف عن الغموض. نشأت هذه المراكز الفكرية في مدن كبرى ذات خلفية ثقافية غنية، وتأثَّرَت بشكلٍ كبيرٍ بالفلسفة اليونانية السائدة التي كانت تُهَيمِن على بيئتها. هذا التأثُّر الفلسفي كان له دورٌ حاسم في تشكيل المناهج التفسيرية، فقد سَعَت كل مدرسة إلى تقديم فَهمِها الخاص للنص المقدس في ضوء الفلسفة التي سادت في محيطها.

ولم يكن التفسير في المسيحية الأولى بعيدًا عن **البيئة الفلسفية والثقافية** التي سادَت ذلك العصر. فقد نشأت الكنيسة في عالم يتَّسِم بتعدُّد التيارات الفكرية، وكان على اللاهوتيين الأوائل أنْ يتفاعلوا مع هذه الفلسفة، أحيانًا بالاقتباس منها، وأحيانًا بالرد عليها، وأحيانًا أخرى بمحاولة التوفيق بين مبادئها وبين التعاليم المسيحية. وهكذا أصبح التفسير المسيحي ميدانًا لتفاعل خلّاق بين النص المقدس والفكر الفلسفي، الأمر الذي أسهمَ في بلوَرَةِ مناهجَ تفسيريةٍ مُتمايزة.

إنَّ فَهمَ هذه المدارس لا يقتصر على كونه استعراضًا تاريخيًا، بل هو مفتاح لفَهمِ جذور الخلافات اللاهوتية الكبرى التي هزَّت الكنيسة الأولى، وخاصةً ما يتعلق بطبيعة المسيح، كما يُلقي الضوءَ على العلاقةِ الديناميكية بين الفكر الديني والفلسفة التي سادت في ذلك العصر.

لقد تجلَّت هذه المناهج بصورةٍ واضحةٍ في **المدارس اللاهوتية** التي مثَّلت مراكز فكرية مؤثرة. وكان الهدف الأساس لهذه المدارس هو **استجلاءُ قصدِ اللهِ من خلالِ كلماته**، وبناء العقيدة المسيحية على أُسُسٍ راسخة، مع إعطاء مساحة للتأمُّل الروحي والبحث العقلي. هذا التنوُّع لم يكن مجرَّدَ اختلافٍ في الأسلوب، بل كان له أثر مباشر في **تشكيل العقائد المسيحية** وصياغة المواقف اللاهوتية الكبرى. كما أنَّ هذه المدارس لعبت دورًا محوريًا في **ربط النص بالحياة العملية للمؤمنين**، إذ لم يكن التفسير غايةً

نظريةً مجرَّدة، بل وسيلة لإرشاد الناس في عبادتهم، وسلوكهم الأخلاقي، وتفاعلاتهم اليومية.

إنَّ دراسةَ نشأةِ المدارس اللاهوتية ومناهج التفسير تُمثِّلُ إذن **نافذةً لفهمِ العُمقِ التاريخي والفكري للتجربة المسيحية** .فهي تكشفُ عن دينامية الفكر المسيحي وقدرته على التفاعل مع البيئات المختلفة، وعن حيوية الحوار بين النص والعقل، وعن الجهد المستمر لصَونِ العقيدة من جهة، وتجديدها بما يتلاءم مع متغيرات الواقع من جهة أخرى.

وعليه، فإنَّ هذا البحثَ يسعى إلى تناول نشأة هذه المدارس اللاهوتية بالتحليل، واستعراض المناهج التفسيرية التي تبنّتها، وبيان أثرها في صياغة التراث اللاهوتي المسيحي. كما يهدف إلى إبراز العلاقة الوثيقة بين هذه المناهج والبيئة الثقافية والفلسفية التي نشأت فيها، وإيضاح كيف أسهمت في تكوين ملامح المسيحية الأولى، وما تركته من بصماتٍ واضحةٍ لا تزالُ مؤثرةً في الفكر المسيحي حتى يومنا هذا.

✸✸✸✸✸✸✸✸✸✸✸✸✸

انتظر لحظة

كانت هناك بقعة مشهورة بكثرة الانتحارات في اليابان، وكان كثيرون ممن تملَّك اليأس على قلوبهم يذهبون إلى هذه البقعة ليتخلَّصوا من حياتهم.

فذهبت سيدة مسيحية فاضلة إلى هذا المكان وعلَّقت ورقة كتبت عليها: انتظر لحظة. الله يحبك، إن كان يجب أن تموت فأرجوا أن تأتي وتراني غدًا.

فكان كل من يأتي لينتحر ويقرأ تلك العبارة يذهب إلى هذه السيدة التي تعرِّفه بمسيحها مريح التعابى .

وقد أنقذت هذه السيدة مئات من النفوس من الموت انتحاراً، فقد رفع المسيح عنهم كل أتعابهم.

إن المسيح هو الملجأ الأمين لكل نفس متضايقة. فهو لا يستغرق وقتاً في منحك الراحة أكثر من الوقت الذي قضاه في تسكين الريح والأمواج، لأنه لم تكد تخرج الكلمة من فمه حتى صار هدوء عظيم..هكذا هو بكلمة واحدة قادر أن يسكِّن اضطراب نفسك.

من البابا اثناسيوس إلى البابا تواضروس: الكنيسة القبطية تحفظ وديعة نيقية عبر العصور

الأستاذ/ جرجس منير حنا

لم يكن مجمع نيقية الأول (٣٢٥م) مُجرَّد اجتماعٍ كنسيٍ عابر، بل كان مُنعَطَفًا مصيريًا في تاريخ المسيحية جمع ٣١٨ أسقفًا من أرجاء المسكونة ليضعوا بروح الله العامل في الكنيسة أُسُسَ الإيمانِ القويم الذي يُعبّرُ عنه قانونُ الإيمان النيقاوي دستورُ العقيدة المسيحية الجامعة. وعلى أرض مصر وُلدَ أثناسيوس الرسولي، ذلك الشاب الذي وقفَ كالأسدِ مدافعًا عن أُلوهيَّة الابن ضد بدعة آريوس، ليصبح صوت الأرثوذكسية القوي، و**"عمود الكنيسة"** كما لقّبه التاريخ.

واليوم، بعد مرور ١٧٠٠ عام على هذا المجمع المسكوني الأول، تُحيي الكنيسة القبطية الأرثوذكسية بقيادة قداسة البابا تواضروس الثاني هذا الحدث التاريخي في دير القديس الأنبا بيشوي بوادي النطرون، حيث تستضيف لجنة **"الإيمان والنظام"** التابعة لمجلس الكنائس العالمي مؤتمرها السادس في قلب مصر. وهو حدثٌ يحملُ أبعادًا كنسية وروحية وتاريخية ووطنية عميقة، يؤكِّدُ الدَور المحوري لكنيستنا القبطية في صياغة وحفظ الإيمان المستقيم عبر العصور.

- **مجمع نيقية الأول: ولادة قانون الإيمان**

في يوم من أيام مايو ٣٢٥م، اجتمع الآباء في مدينة نيقية استجابةً لدعوة الإمبراطور قسطنطين الكبير؛ ليواجهوا الانقسام الذي سبَّبَتْه تعاليم آريوس المُنكر لابن الله. لم يكن النقاشُ مُجرَّدَ جَدَلٍ عقلي، بل معركة وجودية: هل الكنيسة ستحفظ ما تسلّمته من الرسل "مرّة للقديسين" أم تنزلق وراء هرطقة تُنكر جوهر الخلاص؟

هنا بَرَزَ أثناسيوس الشاب، شماس بطريركية الإسكندرية، الذي دافعَ بصلابةٍ نادرة عن إيمان الكنيسة بأنَّ الابن "واحدٌ مع الآب في الجوهر"، فانتصر الحق، ووُضعَ قانونُ الإيمانِ الذي نُردّده حتى اليوم في كل قداس. ومنذ ذلك الحين، ظلَّ مجمعُ نيقية علامةً مضيئةً في تاريخ الكنيسة، وشهادةً على أنَّ الكنيسة تستطيع حتى وسط الانقسامات أنْ تجتمعَ وتتكلَّمَ بصوتٍ واحد.

- **الذكرى الـ١٦٠٠ والـ١٧٠٠ لمجمع نيقية: من حضور أرثوذكسي استثنائي إلى احتضان الكنيسة القبطية للاحتفال العالمي:**

ولم تكن الكنيسة القبطية الأرثوذكسية هي الأولى التي تستضيف احتفالًا عالميًا بذكرى مجمع نيقية، إذْ سبقَ ذلكَ حدثٌ كنسيٌ غيرُ مسبوقٍ عام ١٩٢٥، حينما نظَّمَت كنيسة إنجلترا في كاتدرائية وستمنستر آبي بالعاصمة لندن احتفالًا مهيبًا بمناسبة مرور ١٦٠٠ عام على المجمع المسكوني الأول. وقد اكتسب هذا الاحتفال مكانةً فريدةً في تاريخ الحركة المسكونية الحديثة، لأنه جَمَعَ تحتَ سقفٍ واحدٍ بطاركة وأساقفة من الكنائس الأرثوذكسية مع قادة الكنيسة الأنجليكانية في لقاءٍ حَمَلَ أبعادًا رمزيةً عميقة، وأظهرَ نيقية كحدثٍ كونيٍ يتجاوز حدود الزمان والمكان.

وقد مَثَّلَ الحضورَ الأرثوذكسي آنذاكَ من الكنيسة البيزنطية، حيث شاركَ فيه غبطةُ البطريرك فوتيوس بطريرك الإسكندرية للروم الأرثوذكس، وغبطة البطريرك داميانوس بطريرك القدس، ورئيس الأساقفة جِرمانوس رئيس أساقفة ثياتيرا، إلى جانب المتروبوليت أنطونيوس (خرابوفيتسكي) والمتروبوليت إيفلوغي (غيورغيفسكي) من الكنيسة الروسية الأرثوذكسية. وعندما تقدَّمَ الوفدُ الأرثوذكسيُ في لحظةٍ بالغةِ الرمزية، ارتفعت أصواتُ الجوقةِ الكنسيةِ مُنشدةً التحيةَ الليتورجية المأخوذة من المزمور: **"من مشرق الشمس إلى مغربها"**، في مشهدٍ تركَ أثرًا عميقًا في الوجدان الكنسي، وأضفَى على المناسبة بُعدًا كونيًا جامعًا. لقد كان ذلك الاحتفال شهادةً حيَّةً على أنَّ ذكرى نيقية لم تكن شأنًا محليًا أو طائفيًا، بل حدثًا يخُصُّ الكنيسةَ الجامعةَ جمعاء، وأنَّ الحضورَ الأرثوذكسي فيه لم يكن مجرَّدَ مُشاركةً رمزية، بل علامةً واضحةً على استمرارية الإيمان الرسولي وتُجدِّدُه في قلبِ التاريخ.

واليوم، وبعد مئةِ عامٍ من ذلك الاحتفال التاريخي، تستضيفُ الكنيسةُ القبطيةُ الأرثوذكسية في مصر احتفال الذكرى الـ١٧٠٠ لمجمع نيقية، لتضع بذلك نفسها في قلب المشهد الكنسي العالمي. إنَّ انعقادَ المؤتمرِ العالمي السادس للجنة **"الإيمان والنظام"** التابعة لمجلس الكنائس العالمي في مركز لوجوس البابوي بدير الأنبا بيشوي لا يُعَدّ مجرَّدَ تنظيمٍ إداري، بل هو إعلانٌ كنسيٌ ورسالةٌ روحية تؤكد أنَّ الكنيسة القبطية لا تزال جسرًا حيًّا يصل بين عُمقِ التقليد الأرثوذكسي العريق واحتياجات العالَمِ المُعاصِر.

وقد عبَّرَ قداسةُ البابا تواضروس الثاني عن هذا البعد بقوله:

"حضور كل هذه الوفود إلى الكنيسة المصرية يُبيّن أهمية الدور المسكوني لكنيستنا وتأثيرها وسط كنائس العالم، كما أنه تكريمٌ لآبائنا الذين حفظوا الإيمان".

- **وأضافَ**:

"كيف يخافُ أحدٌ على كنيستنا ذات الألفَي سنة؟ كنيستنا مثل الجبل، وهي كنيسة معلمة، كنيسة الشهداء التي حفظت إيمانها".

إنَّ اختيار مصر لتكون مركزًا لهذا الحدث ليس اعتباطيًا، بل شهادة حيّة على أنَّ أرضَ الكرازة المرقسية ما زالت ينبوعًا للروحانية الأصيلة. فالمؤتمر الذي يُعقَد بدعوةٍ من قداسةِ البابا تواضروس الثاني وبالمشاركة بالدعوة فقط، يلتقي بالقرب من دَيرِ الأنبا بيشوي التاريخي، حيث يمتزجُ الحاضرُ بالتراثِ الرهباني العريق، ليُذكِّر العالم بأنَّ مصرَ كانت وستبقى مَهدَ الرهبنةِ ومخزنَ الإيمانِ النيقاوي.

وسيكون هذا المؤتمر العالمي السادس المحورَ الأساسي لأنشطة مجلس الكنائس العالمي في إحياء الذكرى الـ١٧٠٠ لمجمع نيقية، بما يحمله من أبعادٍ كنسيةٍ وفرصةٍ للتأمُّل في تثبيت الإيمان المستقيم (الإيمان النيقاوي)، وفي إعلانِ محبةِ الله الثالوثية التي تجمع الكنائس في شهادةٍ مُشتركةٍ وخدمةٍ موحَّدَة. وفي هذا السياق قالت الكنيسة القبطية في دعوتها للمجلس إنها تُعِدُّ عددًا من الفعاليات احتفالًا بالمناسبة، مؤكدةً على الدَور التاريخي المحوري للقديس أثناسيوس الرسولي، بطريرك الإسكندرية (٢٩٦/٢٩٨–٣٧٣م)، الذي دافعَ بقوةٍ عن الإيمان النيقاوي ضِدَّ هرطقةِ الأريوسية، ليُصبحَ "حامي الإيمان الأرثوذكسي" في الضمير الكنسي.

وهذا وقد شدَّدَ القس جيري بيلاي، الأمين العام لمجلس الكنائس العالمي، على الطابع الرسولي لهذا الاحتفال بقوله:

"مع كثرة التحديات التي نواجهها اليوم، من المهم جدًا أنْ نُذكِّر المؤمنين بأنْ يعيشوا معًا الإيمان الرسولي."

- **الكنيسة القبطية الأرثوذكسية والحركة المسكونية**

منذ أنْ وقفَ القديس أثناسيوس الرسولي في مجمع نيقية سنة ٣٢٥م مدافعًا عن الإيمان

النيقاوي ضد هرطقة آريوس، حَمَلَتِ الكنيسة القبطية الأرثوذكسية على عاتِقِها رسالةَ حِراسةِ العقيدة وصَونِ الإيمان الرسولي، فاستحقَّت أنْ تُدعَى "كنيسة الشهداء" التي حفظت إيمانها بالدماء المسفوكة، و"كنيسة الآباء المعلمين "التي أنجَبَت أعلامَ اللاهوت أمثال أثناسيوس وكيرلس عمود الدين وديوسقورس بطل الأرثوذكسية. وعلى مَرِّ العصور، لم تنقطع شهادةُ الكنيسة للحق، بل استمرت حيةً ومضيئة، تحفظ وديعة الإيمان دون مساومة، مهما تبدَّلَت الظروف وتعاقَبَت الأزمنة. وفي العصر الحديث، بَرَزَتِ الكنيسةُ القبطيةُ كأحَدِ الأعمدةِ الراسخة للحركة المسكونية العالمية، إذ انتدب البابا يؤانس التاسع عشر القمص إبراهيم لوقا سنة ١٩٣٧ ليشارك في مؤتمرَي **"إيمان وعمل"** و**"إيمان ونظام"** في أوكسفورد وإدنبره، حيث قدَّمَ ورقةً بحثيةً عميقةً عن إيمان وتاريخ الكنيسة القبطية، نالَت إعجابَ الحاضرين وأسهمت في صياغة الوعي المسكوني العالمي آنذاك. ثم واصل البابا يوساب الثاني المسيرة فانتدبَ القمص إبراهيم ممثلًا دائمًا للكنيسة في لجنة **"إيمان ونظام"**، ليكون صوتًا قبطيًا حاضرًا في الحوار اللاهوتي الدولي، حتى جاء الأنبا صموئيل أسقف الخدمات العامة والعلاقات المسكونية ليتركَ بصمةً فريدةً بعُمقِ علاقاته وانفتاحه على كنائس العالم، جامعًا بين الروح الكنسية والانفتاح العالمي. أمّا البابا شنودة الثالث فقد أحدثَ نقلةً كبرى، إذ حَمَلَ الكنيسة القبطية إلى قلب العمل المسكوني العالمي، فصارَ أحدَ رؤساءِ مجلس الكنائس العالمي ورئيسًا لمجلس كنائس الشرق الأوسط، وفتحَ أبوابًا جديدة للحوار عبر زياراتٍ تاريخية أبرزها زيارته للفاتيكان سنة ١٩٧٣ التي دشَّنَت حوارَ المحبة بين الكنيستين القبطية والكاثوليكية. واليوم، يواصل قداسة البابا تواضروس الثاني هذه المسيرة بعزمٍ ورؤية، مؤكدًا أنَّ الكنيسة القبطية ليست كنيسة منغلقة أو حبيسة تاريخها، بل كنيسة حيّة، شاهدة، وأمينة على تقليدها الرسولي، وفي الوقت نفسه قادرة على أنْ تدخل في حوار جاد مع العالم، لتبقى بحق حارسة الإيمان وعلامة محبة وسلام وشاهدة للرب يسوع المسيح عبر العصور.

• احتفالية الذكرى الـ١٧٠٠ لمجمع نيقية في مصر: بين الماضي والحاضر

إنَّ استضافة الكنيسة القبطية الأرثوذكسية لاحتفالية مرور سبعة عشر قرنًا على مجمع نيقية المسكوني الأول ليست حدثًا تنظيميًا عابرًا، بل إعلان كنسي ورسالة روحية حيّة. ففي قلب

وادي النطرون، حيث يعلو دَيرُ القديس الأنبا بيشوي شاهدًا على عمق التراث الرهباني المصري، تلتقي لجنة **"الإيمان والنظام"** التابعة لمجلس الكنائس العالمي لتؤكد أنَّ كنيستنا ما زالت جسرًا يربط بين أصالة التقليد وحيوية الحاضر، وبين جذور الإيمان الأرثوذكسي والشهادة المسكونية المشتركة.

وقد شدَّدَ قداسة البابا تواضروس الثاني على أنَّ حضور مئات الوفود من أكثر من ١٠٠ دولة إلى أرض مصر، هو برهانٌ واضحٌ على ثِقَلِ كنيستنا وحضورها:

"حضور كل هذه الوفود إلى الكنيسة المصرية يُبيّنُ أهمية الدَور المسكوني لكنيستنا وتأثيرها وسط كنائس العالم، كما أنه تكريمٌ لآبائنا الذين حفظوا الإيمان".

وهنا يتردَّدُ صدى قول الرسول بولس:

"قد جاهدتُ الجهادَ الحسن، أكملتُ السعي، حفظتُ الإيمان، وأخيرًا قد وُضعَ لي إكليلُ البر" (٢ تي٤: ٧-٨).

وعندما عَبَّرَ قداسته عن رسوخِ الكنيسة القبطية استحضرَ صورةَ الجبلِ الثابت الذي لا تُزعزعه الرياح:

"كيف يخاف أحدٌ على كنيستنا ذات الألفَي سنة؟ كنيستنا مثل الجبل، وهي كنيسة مُعلّمة، كنيسة الشهداء التي حفظت إيمانها".

وهو ما يذكّرنا بكلمات الرب يسوع المسيح:

"على هذه الصخرة أبني كنيستي و أبواب الجحيم لن تقوى عليها" (مت١٦: ١٨).

وأوضح قداسته تفاصيل انعقاد المؤتمر قائلًا:

"المؤتمر سيتم على مدارِ ثلاثةِ أسابيع، وستحضره وفودٌ من ١٠٠ دولة بإجمالي ٥٠٠ شخص، يبدأ بـ١٥٠ مُشاركًا ثم ينضم إليهم ٥٠ ثم ٣٠٠، ليصل العددُ في الأيام الأخيرة إلى ٥٠٠ شخص".

وفي لقائه مع الأمانة العامة لخدمة الشباب بالإسكندرية، شدَّدَ البابا على البُعدِ الوطني والعالمي لهذا الحَدَث:

"استضافة مؤتمرِ مجلسِ الكنائسِ العالمي يدعَم صورةَ مصر أمام العالم، ويكشف عَن ثِقَلِ وحضورِ كنيستنا ككنيسةٍ أرثوذكسية شرقية قوية وحيَّة بشعبها وخدمتها".

كما أجاب قداسته عن سر اختيار مصر لاستضافة المؤتمر قائلًا:

"كنيستنا القبطية من أقدم كنائس العالم، وهي عضو مؤسِّس في العديد من المجالس الكنسية ومنها مجلس الكنائس العالمي. نحن كنيسة لها ثِقلها وحضورها القوي، فلا يجب أنْ نعيش بمعزلٍ عن العالم، بل أنْ نكون صوتًا يشرح ويوضح".

وأشارَ إلى أهمية مشاركة الكنيسة القبطية في **"مجلس الكنائس العالمي"** قائلًا:

"المجلس يضُمُّ أكثرَ من ٣١٥ كنيسة على مستوى العالم، ٨٥ ٪ منها كنائس غربية، ومجيء هذه الكنائس إلى أرضِ مصر هو تكريمٌ لآبائنا الذين سلَّموا الإيمان، وهو أيضًا فرصةٌ ليتعرَّف العالم على تقاليدنا وطقوسنا وتراثنا القبطي".

ولإبراز العُمق الثقافي، أعلن قداسته عن إقامة معرض للمنتجات الكنسية وإتاحة الفرصة للوفود لزيارة الأماكن الأثرية في مصر، مؤكّدًا:

"إنَّ المؤتمر لا يخدم فقط الشهادة المسكونية، بل أيضًا السياحة المصرية، وسيجعل اسم مصر حاضرًا في وكالات الأنباء العالمية طوال فترة انعقاده".

واختتم قداسته مؤكّدًا على خصوصية هذه المناسبة:

"هذه هي المرة الأولى التي ينعقد فيها المؤتمر في قارتَي إفريقيا وآسيا، وهناك ميزةٌ إضافية أنَّ الشباب هم الذين سيتولَّون العملية التنظيمية بكافة تفاصيلها".

وهكذا تتحقَّق كلماتُ الكتاب:

"جيلٌ إلى جيلٍ يُخبر بأعمالك، وبقوة أعمالك العجيبة يُخبرون" (مز١٤٥: ٤).

إنَّ الذكرى الـ١٧٠٠ لمجمع نيقية ليست مجرد استعادةٍ لحَدَثٍ ماضٍ، بل هي دعوةٌ لكل الكنائس لتجديد التزامها بالإيمان النيقاوي القويم، وللشهادة المشتركة للمسيح أمام عالم يمزقه الانقسام. والكنيسة القبطية الأرثوذكسية التي أنجبت أثناسيوس وحفظت الإيمان عبر قرون الاضطهاد، تقف اليوم بقيادة البابا تواضروس الثاني شاهدةً أنَّ الكنيسة "مثل الجبل"، ثابتة، مُعلِّمة، وشاهدة للحق.

إنها لحظةٌ تاريخيةٌ تُعيدُ إلى الذاكرة أنَّ نيقية لم يكن مجرد مجمعٍ عابر، بل كان ميلادًا جديدًا لوحدة الإيمان، والكنيسة القبطية تظَلُّ إلى اليوم صوتَ أثناسيوس الحيّ، الذي يقول مع كل جيل: "هذا هو إيمان الكنيسة، هذا هو الإيمان المستقيم، هذا هو الإيمان الذي يثبتنا".

المعلم بُقطر بن القُمُّص تادرس
مؤدِّب الأطفال وناسخ المخطوطات بناحية "دَلجا"
(نحو ١٧٨٧ - ١٧٨٩م)

الأستاذ/ إسحاق إبراهيم الباجوشي

مقدمة:

في كل عصرٍ يسطعُ بين ثنايا الصفحات المجهولة من التاريخ بريقُ أسماءٍ لم تُنقَش على جدران القصور، ولم تُزَيَّن بأكاليل النصر، بل بقيت مخلَّدةً في القلوب والضمائر. أولئك الذين لم يعرفهم الناس من خلال صَخَبِ المعارك أو عظمة العروش، بل من خلال همساتهم الهادئة في زوايا الكتاتيب، ومن خلال سطور المخطوطات التي حفظت الإيمان والمعرفة والعلوم للأجيال. الذين يعرفهم الله ويعرف أتعابهم الظاهرة والخفية التي فعلوها في السر ويجازيهم علانية، بين هؤلاء نجِدُ شخصياتٍ تسلَّلَت إلى ذاكرة الزمان دون أنْ تقصد، فصارت رموزًا للصبر والعطاء، وشواهد على أنَّ الخلودَ قد يُكتَب بالحبر أكثر مما يُكتَب بالذهب. ومن بين هذه الأسماء يبرز اسم **المعلم بُقطر بن القمُّص تادرس**، الذي نُبحرُ معه في رحلةٍ إلى قرية دَلجا، حيث امتزج الحرفُ بالصلاة، والمعرفةُ بالإيمان، والنساخةُ بالحياة، في قلبِ رجلٍ جمعَ بين التواضع والخلود.

في مجاهل التاريخ، حيث تتوارى ملامح البسطاء خَلْفَ ضبابِ النسيان، يطلُّ علينا اسمٌ يلمَعُ كنجمةٍ في سماءِ الرعايةِ والتعليمِ المسيحي، اسمٌ حفظه الحبرُ على ورقِ المخطوطات أكثر مما حفظته كتب السِيَر. إنه الخادم والمعلم بالحق بُقطر بن القمُّص تادرس، "مؤدِّبُ الأطفال بدلجا"، ذاكَ الغريب الذي اختارَ أنْ يستوطنَ القرية ليصيرَ قلبَها النابضَ بالعلمِ والإيمان. لم تُسجِّل كتبُ الملوكِ سيرته، بل هو الذي خلَّدَ نفسه بنفسه في سطور متواضعة خطَّها في مخطوطه النفيس "**طروحات وتفاسير قبطي، عربي**"، سطور تفوحُ بخشوع القلب وصفاء الروح وعُمق التأمل والخشوع. جمعَ بُقطر بين دِقَّةِ الناسخ وأمانة المُربّي، فكان يحرسُ المعرفةَ بيده كما يغرسُ القِيَمَ في قلوب الصغار بصوته ونظره. لم يكن مجرَّدَ ناقلٍ للكلمات بل حارسًا لها، يقيها من الضياع ويهبها حياةً جديدة في أيدي القُرّاء. هكذا ظلَّ اسمه شاهدًا على أنَّ المجدَ قد يسكُنُ صدورَ المتواضعين، وأنَّ التاريخَ قد يخبّئُ عظمته في حِبر الناسكين أكثر مما يُخبُّئها في تيجانِ الملوك والرؤساء، ويتوّجُ الله هذا الكرسي الأسقفي الوليد بأسقفٍ يُدعى "**الأنبا بقطر أسقف دير مواس ودَلجا**"، الذي سيم في ١ يونيو ٢٠٢٥م، جاءَ ليُعلِّم ويُربي ويخدم

ويروي ويعمل في كَرمِ الرب الذي عملَ فيه بُقطر قبله منذ نحو قرنَين ونصف من الزمان.

مصدر سيرته:

كولوفون (حر المتن/ قيد الفراغ) في مخطوط "**طروحات وتفاسير قبطي عربي على آحاد وأعياد السنة والأصوام والبصخة المقدسة والخمسين المقدسة**"، وبه شرحٌ لترتيب صلاةَ السجدة التي تُصلَّى يوم عيد العَنصرَة (عنصريت) يوم الخمسين، عيد حلول الروح القدس على التلاميذ. قامَ بنساخته ووقفه على كنيسة دَلجا جاءَ فيه ما نَصُّه الآتي:

"تم وكَمُلَ هذا الكتاب المبارك بعَونِ الله تعالى آمين.

وكان الفراغ من هذا الكتاب يوم الخميس المبارك يوم ستة عشر في شهر توت الذي هو من شهور سنة ألف وخمسمائة وستة للشهداء الأطهار رزقنا الله بطلباتهم آمين.

والناسخ المسكين الذليل المهين الكسلان المتواني الغارق في بحار الخطايا والذنوب عبدك كاتب هذه الأحرف السقيمة لأنه مُتعلِّمٌ لا مُعلِّمَ يضرب مطانوة[1] تحت أقدام آبائنا وأخوتنا المطالعين في هذا الكتاب أنْ يسألوا الله أنْ يسامحه بغفران خطاياه.. وإذا سألتم عن اسمه أنه لم يقدر أنْ يذكر اسمه بين الناس من كثرة خطاياه وذنوبه بالاسم يُدعى: بُقطر بن القمُّص تادرس خادم الأطفال القاطن بدَلجا خادم الست السيدة [العذراء].

وكل مَنْ وجد غلطةً وأصلحها يصلحُ الله أموره ويعوضه عِوَضَ ذلك في ملكوت السماوات ثلاثين وستين ومائة وفي الآخرة غفران الخطايا آمين.

وكان المهتمون بهذا الكتاب المبارك آباؤنا القسوس الأرثوذكسيون المجتمعون بهذه البَيعة، بَيعة الست السيدة العذراء وقفًا عليها" (بالورقات ٣٤٤- ٣٤٥).

والمخطوط مؤرَّخ بتاريخَين وهما:

- الأربعاء ٢٤ بشنس ١٥٠٣ش الموافق ألف ومئتين وواحد للهجرة [الموافق ٣٠ مايو ١٧٨٧م]
- الخميس ١٦ توت ١٥٠٦ش [الموافق ٢٤ سبتمبر ١٧٨٩م]

ربما كانا بداية ونهاية نسخ المخطوط أو أنه نسخ أكثر من مخطوط للطروحات وتم ضمهما معًا إذ ورد أكثر من قَيدِ فراغ في هذا المجلد الذي يحتاج ترتيب وترميم أوراقه، ولم نعثر على كثير من مخطوطات من نساخته، ولكن بمراجعة نصوص هذه الطروحات وجدنا أنها تعبر عن نسخ نادرة من نصوص مستعملة في مصر الوسطى أو الصعيد، ربما تظهر فيما بعد مخطوطات تحدد بأكثر دقة تاريخ ميلاده أو نياحته أو موطنه الأصلي إذ لم يكُن من دلجا نفسها، كذلك تخبرنا عن باقي أعماله.

---

[1] **مطانوة: μετάνοια سجدة/ توبة، تغيير (رومية ١٢:٢).**

المعلم بقطر بن القمص تادرس: حارس التعليم في دَلجا

من الناسخ إلى المعلم.. دورٌ مزدوجٌ في خدمة التعليم

تُظهِر الأخبار المتوفرة أنَّ بقطرَ كان شخصيةً محورية في مجتمع دَلجا، حيث جمعَ بين وظيفتَين جليلتَين:

١. **الناسخ المُتقن:** وصلتنا مخطوطتان من نساخته، تُظهران دقةً ومهارةً في الخط والنقل، وتؤرخان لفترةٍ زمنيةٍ محددة (بين ١٧٨٧ و١٧٨٩م)، وهو ما يدل على نشاطه في حفظ ونشر المعرفة الدينية واللاهوتية، والجدير بالذكر أن هذه النصوص التي تم نسخها هامة جدًا في تفسير القراءات الكنسية.

٢. **المعلم والمُؤدِب:** لُقِّب بـ "**مؤدب الأطفال**"، مما يجعله بمثابة **عَرّيف الكُتّاب** أو **معلِّم القرية**، حيث كان يُعنى بتعليم الأطفال القراءة والكتابة، مُشكلًا بذلك حجرَ الزاوية في بناء الجيل الجديد من المتعلمين في دَلجا، والجدير بالذكر أن لقب "**مؤدب الأطفال**" هو اللقب المُحبب بالنسبة لعرفاء الكتاتيب القبطية حينذاك، وبعضهم يكتبه "**خادم الأطفال**"، بمعنى عريف الكُتَّاب ومعلمه.

سيرة ذات دلائل ومؤشرات:

على الرغم من أننا لا نعرف تاريخ ميلاد أو وفاة بقطر، إلّا أنَّ بعض المُعطيات تُشير إلى نقاطٍ هامة في سيرته:

- **أصوله العائلية:** كان والده **قمُّصًا** في كنائس القرية، مما يدل على أنَّ بُقطر نشأ في بيئةٍ دينيةٍ وعلميةٍ، وهو ما يفسر شغفه بالنسخ والتعليم والتبحُّر في كتبِ الكنيسة وعلومها.
- **هويته القروية:** كشفت الكلوفونات في مخطوطاته أنه **قاطنٌ بدَلجا**، وهو ما يُعني أنه ربما لم يكن من أهل القرية الأصليين، ولكنه استقر فيها واتخذها موطنًا له.
- **مكانته الاجتماعية:** وجوده في هذا الدور المزدوج (ناسخ ومعلم) يؤكد على مكانته المرموقة واحترام الناس له، فهو لم يكن مجرد ناقلٍ للحروف، بل كان راعيًا للعِلم والمعرفة والروح المسيحية.

باختصار، يُمثِّلُ المعلم بُقطر بن القمُّص تادرس نموذجًا حيًا على أنَّ الإسهام في الحضارة لا يقتصر على أصحاب المناصب الرفيعة، بل يمتد ليشمل كل مَن سخَّرَ وقته وجهده لخدمة الكنيسة والتعليم والمجتمع، تاركًا خلفه إرثًا ثقافيًا وتعليميًا من المعرفة والتواضع إلى جانب التراث الليتورجي يستحق التقدير والدراسة.

اللُغة اليونانيَّة (٧-٢)

§٧-٢: حروفُ الجَرِّ التي تليها حالةُ المضافُ إلَيه

دكتور/ جرجس بشرى

حروف الجر في الجدول التالي تليها حالةُ المضاف إلَيه في نصوص الليتورجية.

جدول (١١): حروف الجر التي يليها حالة المضاف إلَيه في نصوص الليتورجية

πρό	**قبل، أمام**
ἀπό	**من (from)**
ἐκ (ἐξ)	**من (out of)**
μετά	**مع، بـ**
διά	**خلال، بواسطة، عبر**
ὑπέρ	**لأجل**
ἐνώπιον	**أمام**
ἐπί	**على**

ملاحظات:

أولًا– حرف الجر (**μετά**) تأتي معه حالة مضاف إليه في نصوص الليتورجية، ويكون معناه (مع)، أمَّا في نصوص الكتاب المقدس، فيمكن أن تليه أيضا حالةُ النصب، ويكون معناه. "بعد"، مثل:

1- μετὰ **φόβου** Θεοῦ. بمخافة الله

2- μετὰ **φόβον** Θεοῦ. بعد مخافة الله

ثانيا– كل من حرفَي الجر (**ἐκ, ἀπό**) يُمكن ترجمتهما "من"، ولكن (**ἐκ**) تشير إلى ما أو من كان في الداخل وخرج، أمَّا (**ἀπό**) فتشير إلى ما أو من يأتي من جهة أو ناحية أو محيط المضاف إليه. مثل:

1- **ἐκ** τοῦ μοναστηρίου.

- **من** الدير (أي من داخل الدير، كان في الداخل وخرج)

2- **ἀπὸ** τοῦ μοναστηρίου.

- **من** الدير (أي من محيط الدير أو من عند الدير، كان في منطقة أو حول الدير)

ثالثًا– حرف الجر (**ἐκ**) يكتب هكذا عندما تليه كلمة تبدأ بحرف ساكن، أمَّا إذا كان يليه حرف متحرك فيكتب (**ἐξ**)، مثل:

1- **ἐκ** τοῦ ἁγίου εὐαγγελίου. **من** الإنجيل المقدس

2- **ἐξ** ὕψους. **من** الأعالي

رابعا– حرف الجر (**διά**) يعني: "خلال، بواسطة، عبر" عندما تليه حالةُ المضاف إليه، ولكن عندما تليه حالة النصب، فيعني: "لأجل، بسبب". مثل:

1- ὁ τὸν **διὰ** σταυροῦ θάνατον ὑπομείνας.

- الذي احتمل الموت **بواسطة** الصليب (موت الصليب).

2- **διὰ** τὸν φόβον τῶν Ιουδαίων. (Esther 8:17)

- **بسبب (لأجل)** الخوف من اليهود. (إستير ٨: ١٧)

أمثلة:

1- ὁ **ἐκ** τοῦ τάφου ἐγείρας Λάζαρον.

- الذي أقام لعازر **من** القبر. (باكر خميس العهد).

2- προσεύξασθε **ὑπὲρ** τῶν ἁγίων τιμίων δώρων τούτων.

- صلوا من أجل هذه التقدمات المقدسة المكرَّمة.

3- προσεύξασθε **ὑπὲρ** τοῦ ἁγίου εὐαγγελίου.

- صلوا **من أجل** الإنجيل المقدس.

4- σταθῆτε **μετὰ** φόβου Θεοῦ, ἀκούσωμεν τοῦ ἁγίου εὐαγγελίου.

- قفوا **بخوف** الله، لنسمع الإنجيل المقدس.

5- ἄγγελοι **μετὰ** ποιμένων δοξολογοῦσι.

- الملائكة **مع** الرعاة يمجِّدون.

6- **ἐνώπιόν** σου Κύριε.

أمامك يا رب.

أنتم للمسيح

الأستاذ/ عياد توفيق

"شبَّ عمرو عن الطوق" مَثَلٌ عربي قديم لا يزال متداولاً، وهو يعبّر عن بلوغ أحدهم مرحلة النضج، وأن المَعْنِي بالمَثَل قد صار رجلاً يُعتَمد عليه ولم يعد ذلك الفتى المدلَّل الذي يلبس طوقًا فى رقبته.

إن كان المَثَلُ السابق يركّز على النمو العقلي والتحرر مما هو للطفولة ولهوها تزامنًا مع زيادة رصيد العمر الزمني فإنه بالمقاربة مع هذا الوجه الجسماني العقلي هناك وجهٌ آخر للنمو والارتقاء ولكن على المستوى الروحي. فقد يحدث لبعضنا أن يتعرَّف على المسيح ويشبَّ على الحياة الروحية من خلال عمل النعمة فى أحد الخدام أو الوعاظ أو الكُتَّاب، ويكون هذا الخادم لهذا البعض بمثابة طوقٍ يلبسونه ويعلّقونه فى رقابهم، يتغنون ويتفاخرون به ويتمترسون حوله ويدافعون عنه ويبشرون به، لكن هذا متفهَّم ومقبول فى حدود البدايات وفى مدارج عهد الطفولة الروحية، أما وإن شَبَّ الإنسان ونضج روحيًا فإنه يشب أيضًا عن طوق هذا الخادم، وينظر إلى الأمور بعين المستنير، ويضع كل شيء فى نصابه الصحيح، فينظر إلى الخادم على أنه مُرسَل، وأن هناك مُرْسِلاً أرسله خصيصًا ليخلِّصه ويهديه إلى سبل البر، بما يستوجب معه تحويل البوصلة شَطْر هذا المُرسِل والتركيز عليه والاقتراب منه، ووضع مكانة الخادم فى حجمها الصحيح واللائق وعدم الشطط والجنوح بها إلى مكانة الله نفسه.

ومن الواضح أن الإخوة فى كورنثوس وقعوا فى مخلب هذا الطوق، وكان لكل مجموعة منهم طوقها الخاص، واحدة كان طوقها بولس وثانية أبلوس وثالثة صفا، وهكذا تعددت الأطواق والمعبودات وكثرت الانقسامات والتحزبات. ولم يخجل القديس بولس من أن يسميهم تحت وقع هذه الأطواق أنهم

ما زالوا إلى حينه فى عهد الطفولة، وأنهم بهذه التصرفات والأطواق والتحزبات جسديين بامتياز وليسوا بعد روحيين **(انظر١كو٣: ١-٤)**.

وأمام هذا الوضع المتردي والمرتد إلى قامة الطفولة، اضطر القديس بولس أن يرجع بهم مرة أخرى إلى دروس الحضانة والروضة، وأبان لهم أنه هو أو أبولس أو صفا ما هم إلا خدام آمنوا فقط بواسطتهم، وأنهم بمثابة غارسين أو سقاة، ولكن الله هو العامل وهو المُنمي لهذا الغرس والزرع، وأن بولس أو أبلوس أو صفا هم خدام كرَّسهم الرب لهم ولأجلهم، أما هم كرعية فليسوا لبولس أو لأبلوس أو لصفا حتى يتشيَّعوا لهم ويكونوا لهم بل هم للمسيح وللمسيح فقط.

وفى حقيقة الأمر، الإخوة فى كورنثوس من الجائز أن نتلمَّس لهم بعض العذر، فالإيمان المسيحي برمته كان ما زال فى مهده وإيمانهم الخاص بالمسيح كان لم يزل بعد فى دور الحضانة. ولكن ما هو الرأي والجواب بعد ألفي عام من الإيمان المسيحي ومن المعرفة المكدَّسة بالمسيح ومن الإلمام والمعرفة بما عالجه بولس من طفولة روحية فى كنيسة كورنثوس، إذا كان بينا مَن هو ما زال قابعًا فى دور الحضانة الروحية وفى رقبته طوقٌ يلهو به ويتشيَّع لمن هو بولس ولمن هو أبولس.

وإذا أردنا التوصيف الدقيق لكل ألوان التحزب والتشيُّع والمشاحنات والمساجلات الموجودة فى الفضاء الإلكتروني بين أبناء الأب الفلاني أو الأب العلاني، فإننا نرى أنها تخطَّت وتجاوزت مرحلة الطفولة الروحية التي عالجها وواجهها القديس بولس فى كورنثوس ودخلت فى منطقة التنافس بين ذوات متضخمة ومتورمة. فالكل يدافع عن ذاته ويظهر ذاته ويرفّع فى ذاته ولكن فى صورة الدفاع والتشيُّع للأب الفلاني ومهاجمة الأب العلاني، إذ كلما تعاظم شأن مَنْ أتَّبعه وأبشّر به يتعظم بالضرورة أيضًا شأني أنا ويرتفع باللزوم قدري أنا، وبهذا تتغذى الذات وتشبع وتتوسَّد مقعدها الأثيل الفخيم ولو على حساب انقسام الكنيسة وأبناء المسيح.

نعم، إنه نقاش الذات ومباحثات الذات وردود الذات وأبحاث الذات. وإن كان هناك شكٌّ فى هذا، فعلينا أن نراجع قلوبنا ونفحصها جيدًا لنرِى بوضوح ما أصابها من عطب وبغضة وتحقير لمن أرد عليه ولمن أتحاجج معه، أو نستطلع بموضوعية وعقلانية لغة الردود والأخذ والرد.

يا أحباء المسيح، نحتاج جميعًا أن نشبَّ عن الطوق ونودّع مرحلة الطفولة والحضانة الروحية، ونستبصر حركات الذات المخادعة اللابسة كذبًا وبهتانًا صورة التقوى والدفاع عن الحق.

هيا نودِّع أنا لبولس وأنا لأبلوس، ونقول ونردد "أنا للمسيح"، حتى يفرح بنا بولس وأبلوس وتلتئم وتتآلف أعضاء جسد المسيح.

كنيسة الأمير تادرس المشرقي بمصر القديمة

تقع كنيسة الأمير تادرس المشرقي في مصر القديمة جنوب حصن بابليون وتتشابه في عناصرها المعمارية مع كنيسة السيدة العذراء الشهيرة بقصرية الريحان، وهي مربعة الشكل وطول ضلعها يبلغ ١٧,٤٠ مترًا، والواجهة الرئيسية في الناحية الجنوبية وليست الغربية كالمعتاد، ويقال إنَّ هذه الكنيسة أُنشئت في القرن الرابع الميلادي، بينما يشير الدكتور رءوف حبيب في كتابه "الكنائس القبطية القديمة في القاهرة" الصادر عام ١٩٦٦، إلى أنها بُنيت في القرن السابع أو الثامن الميلادي.

تتكون الكنيسة من طابقٍ واحد، وتتميز بعمارة خارجية بسيطة، حيث تحتوي على مدخلين في سورها الخارجي يؤديان إلى فناء واسع يسبق مبنى الكنيسة. ويقع مبنى الكنيسة على مستوى منخفض قليلًا عن أرض الشارع، وله ثلاث واجهات مبنية بالطوب الآجُرِّ في الجهات الجنوبية والشرقية والشمالية. وتضم الواجهة الشمالية بئر المعمودية، بالإضافة إلى بابٍ حديثٍ تمَّ فتحُه مؤخَّرًا . وتنقسم الكنيسة من الداخل إلى ثلاثة أروقة يتوسطهما قاعدتان كبيرتان من الطوب الأحمر المكسو بطبقةٍ من الأسمنت يرتكز على كل منهما عمودان متجاوران من الرخام. وتقع جهة الشرق ثلاثة مذابح لكل منها حنية تمثل حضن الآب، ويحوي سقف الكنيسة أربع قباب الكبرى كل منهم تتوسط الكنيسة وبها أربعة صلبان بارزة.

وقد وُلد القديس تادرس المشرقي في مدينة صور بسوريا عام ٢٧٥ ميلادية، وقد أَطلَقَ عليه الأقباط لقب "تادرس المشرقي" تمييزًا له عن القديس تادرس الشطبي، إذ كان كل منهما أميرًا وقائدًا في الجيش الروماني، وتفخر الكنيسة القبطية بهما. اشتهر تادرس بشجاعته وكفاءته العسكرية، وكان قائدًا ماهرًا ونبيلًا. وقد شارك في إحدى المعارك عند نهر أنطوش أثناء وفاة الإمبراطور نوماريوس وتَوَلّي دقلديانوس الحكم.

كنيسة الأمير تادرس المشرقي
بمصر القديمة